412

HARLEQUIN

روايات أحلام

لن أكون لعبتك

أيما دارسي

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

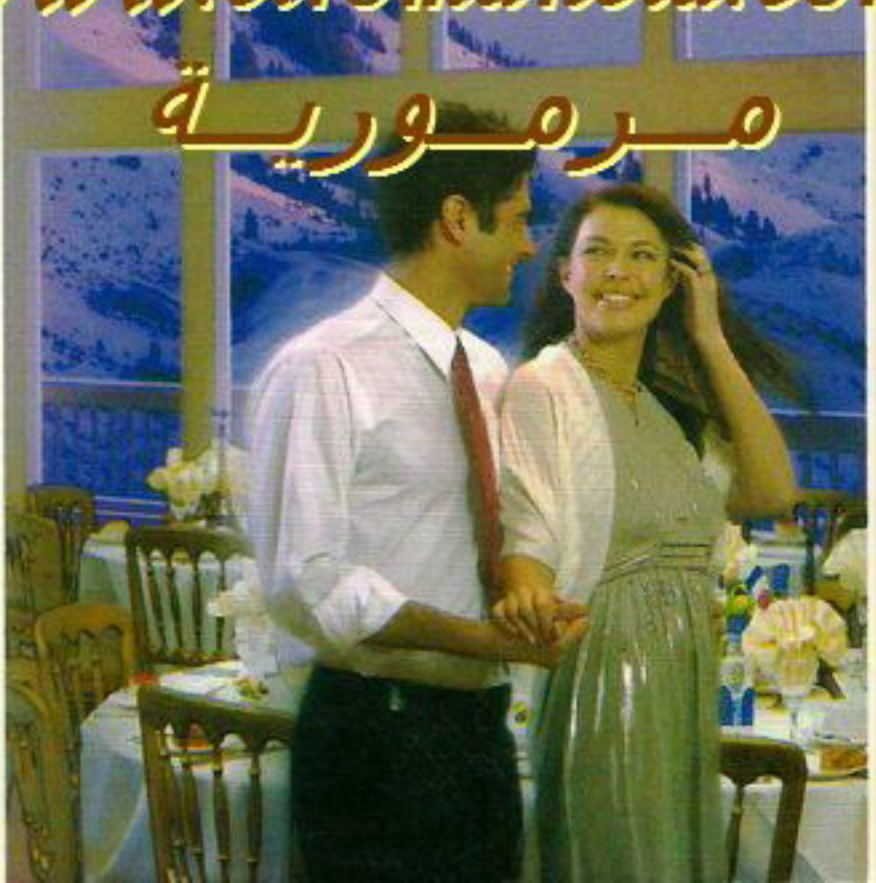

لن أكون لعبتك

إنها مساعدته الشخصية ، وليست لعبة بين يديه ...
جاك دافيلا رجل ناجح جدا في عمله وجميع النساء مغرمات به ... ما عدا مساعدته الشخصية مرلينا روسي !
كانت مرلينا تعلم جيداً أن رب عملها يحب الشقراوات النحيلات لا السمراوات الممتلئات مثلها ... وكان هذا كافياً لردع قلبها من أن يستجيب له .
ثم طلب جايك من مرلينا تنظيم حفلة عيد ميلاد جده الثمانين ، ورأت في ذلك فرصة سانحة لتظهر له ما يفوته ... رمقته عيناها بكراتٍ من نار ، فشعر بها حتى أخمص قدميه . ورغم الضجيج الذي تعالى ، أنبأه حدسه بأن علاقته بمرلينا تغيّرت للتو وإلى الأبد !

أيمّا دارسي

كانت أيمّا دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأمّاً ؛ ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه... بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز». ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية، وبحسب ما اعترفت: «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي».

www.elromancia.com

١ - لن أحتمل المزيد

أنهى جايك دافيلا حلاقة ذقنه ووضع القليل من العطر عليها، هذا العطر الذي تتشقه معظم النساء باهتمام بالغ. نعم، معظم النساء لكن ليس مساعدته الخاصة والرئيسية، مرلينا روسي. فقد اعتادت أن تجعّد أنفها كما لو أنّ هذه الرائحة كريهة ومزعجة.

وكشّر لصورته التي عكستها مرآة الغرور. إنّ الفكرة التي خطرت لها بالأمس ستنسف حتماً رباطة جأشها وهدوءها الذي لا يهتزّ عادة.

يسرّه فعلاً أن يضايقها، أن يسترخي في مقعده ويراقب الشرر يتطاير من عينيها الكهرمانيتين. ولطالما خطر له أن عينيها أشبه بعينيّ نمر، وتساءل عما إذا كانت ستظهر مخالبها يوماً وتقطّعه إرباً إرباً. لا بدّ أن انفجار كل هذا الشغف المكبوت أمر مثير.

إلاّ أن فقدان السيطرة سيؤدي لسوء الحظ إلى انتهاء اللعبة، وهو لا يرغب في ذلك. إن ميل، وهو الاسم الذي تكره أن يناديها به أحد وتحمّلها له يشكّل مصدر تسلية آخر له، أشبه بالملح في حياته، ما يتناقض مع حلاوة النساء الأخريات اللواتي يزيّن حياته. سيفتقدها إذا ما تركته ورحلت.

إلا أنه لا يستطيع التخلّي عن صراع الإرادات المثير في مابينهما، فهو لذة لا تقاوم.

لقد بدأت العمل لديه منذ حوالى ثمانية عشر شهراً. وأثبتت أنها الفتاة المثالية، إذ تتبع تعليماته حرفياً وتحافظ على مواعيده المهنية والاجتماعية وتحلّ محله حين يكون لديه ارتباطات أخرى. وتذكّر الآن أنّ طلبه الأخير

هو الذي أطلق صراع الإرادات المسلّي بينهما.

هذه الذكرى أبقت الابتسامة على وجهه فيما غادر الحمام متوجهاً إلى غرفة الملابس ليختار ما سيرتديه اليوم. من بين السير الذاتية التي درسها ليجد الجوهرة التي يبحث عنها، اختار مرلينا روسي لأنها عملت كمسؤولة علاقات عامة لدى رئيس تحرير مجلة مخصصة للمراهقين، ما يعني أنها مطلعة على سوق المراهقين، وهو السوق الذي يدرّ الأرباح على شركة جايك.

حضرت إلى المقابلة وهي ترتدي بذلة عمل واسعة، سوداء اللون، وقد رفعت شعرها الطويل البني اللون، بعيداً عن وجهها. بدا مظهرها مثيراً، بشفتيها الممتلئتين، وعينيها الواسعتين الكثيفتي الرموش، وبشرتها الذهبية اللون، ووجهها المقوّس. لعل جيناتها الإيطالية هي الطاغية، إنما بدا أنها تنوي التقليل من تأثيرها إلى أقصى حدّ.

وخطر لجايك أنها ليست من النوع الذي يعجبه. فهو يفضّل الشقراوات الطويلات القامة والساقين والنحيفات، اللواتي يبرعن في إظهار تأثير مفاتنهن إلى أقصى حدّ، النساء المحنّكات اللواتي يسعين إلى الربح في رهان إثارة الرغبة. وكان سعيداً في تعزيز غرورهن الأنثوي في هذا المجال، مع أنه يعلم أنهن يسعين دوماً خلف أيّ شخص آخر قد يرضي غرورهن أكثر. لقد عاش في هذا العالم طيلة حياته، فعلّمته الخبرة الشخصية والمراقبة ألاّ يرتبط عاطفياً بأيّ من هؤلاء النساء اللواتي يمرّن في حياته.

نصحه جده ذات مرة: «استمتع بهن يا بنيّ. إنما إعلم أن عليك ألاّ تأخذهن على محمل الجدّ وإلاّ غلبنك».

كان جده يعيش مرحلة طلاقه الرابع، وتذكر جايك أنه سأله حينذاك: «ولمَ لا تنفك تتزوجهن؟».

- لأني أحب حفلات الزفاف.

يمكن لجده أن يتحمّل النفقات بغض النظر عن الكلفة النهائية.

لم يكن جايك مستعداً لإنفاق ثروته الخاصة بهذه الطريقة، فقد تعب في جمعها ولم يشأ أن يتخلى عنها بسهولة من أجل أيّ امرأة لمجرد أنها مثيرة. فلطالما أخذ العمل على محمل الجد، ولطالما سرّه أن يكون ناجحاً في عمله وحرص على حسن اختيار الأشخاص الذين يساعدونه في الحفاظ على نجاحه هذا وتعزيزه.

ومرلينا روسي من هذا الصنف.

إنها غنيمة على كافة المستويات.

أظهر اللقاء الأول معها أنها ذكية وسريعة البديهة وأنها على الأرجح كفوءة جداً في تنفيذ كل ما يطلبه منها. إلاّ أن الأمر الوحيد الذي انتقده فيها هو مظهرها المتزمّت، إذ بدت محافظة، وإذا لم تكن مرنة بما يكفي كي تتغيّر...

قال لها: «إذا أردت هذا العمل، فعليك أن ترتدي ما يتناسب معه. إنّ مظهرك خاطىء كلياً».

سحره الاحمرار الذي رآه يزحف من عنقها الطويل إلى وجنتيها، إنما ما سحره أكثر هو أنها تمكّنت من الحفاظ على رباطة جأشها وهدوئها رغم احمرارها.

وصرّحت بتزمّت: «هلاّ شرحت لي ما هي الصورة أو المظهر الذي تطلبه».

ردّ قائلاً: «لا أرغب في مظهر امرأة في الأربعين من عمرها».

أثارت اهتمامه كلياً بتصميمها على الترفّع عن أيّ انزعاج. هل مرلينا روسي صاحبة عزم وثبات حقيقيين؟ هل هي قادرة على التكيّف مع كافة الأوضاع؟

وأردف: «تقول سيرتك الذاتية إنك في التاسعة والعشرين من عمرك، فهل هذا صحيح؟».

- نعم.

وترك كرسيه خلف المكتب ودار حوله ليستند إليه من الجهة الأمامية

فيما راح يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها وهو يشرح: «يجب أن يبدو مظهرك شاباً وليس كامرأة مسنّة. نحن نبيع الألحان الخاصة لأصحاب الهواتف الخلوية، وهذا السوق يغلب عليه الطابع الشبابي. وإذا كنت ستمثلينني وتمثلين شركتي، فعليك أن تتمتعي بمصداقية».

قيّمته بهدوء من رأسه حتى قدميه: «وهل يعني هذا ارتداء الجينز والقمصان؟».

كان ليرضى بذلك، لكنها أيقظت الشيطان النائم في داخله حين تأملت مظهره بنظرة بطيئة وثابتة.

- لا. هذا المظهر ينطبق على الرجال العاملين في الشركة. أرغب في أن تعكسي آخر صيحات الموضة في الملابس الشبابية. وسراويل الجينز لا تعكس هذه الموضة عند النساء بما أن موضتها لا تبطل. دعي شعرك ينسدل على كتفيك وأظهري بعض النباهة والحاسة السادسة يا آنسة روسي.

فقالت بنبرة تحدي: «شعري منسدل».

كلامها دفع جايك على الفور لأن يخطو خطوة تحد أخرى: «آه، نعم، شعرك. هل لي أن أقترح تسريحة عصرية أكثر؟ إنّ قصّة شعر قصيرة قد تتماشى أكثر مع الصورة التي نريد أن نعكسها».

التهبت وجنتاها غضباً ما جعل الشيطان في داخل جايك يمرح. وتردد في ذهنه سؤال معذّب... هل ستواجه التحدي أم ستتراجع وتنسحب؟

- هل تطلب شعراً قصيراً جداً مع تسريحة سبايك؟

سمّرته عيناها كما لو أنه دجاجة ترغب في شيّها على نار هادئة.

وبالرغم من رغبته في جعل النار تستعر أكثر، إلاّ أنه أدرك أن ثمة حدّ قد وضع وأنها سترحل إذا ما بالغ في تصرفاته. فقرر أن يهدأ، بعد أن رأى أنه سيمرح أكثر مع الآنسة روسي لاحقاً إذا ما عملت لحسابه.

ورفع رأسه مفكراً في ما قد يليق بها ثم قال: «لا. ربما يناسبك قصّ غرّة وترك بعض الخصل تحيط بوجهك وعنقك. ناقشي الأمر مع

حلاقك. ما تحتاجينه هو تسريحة عصرية تتناسب مع الموضة. هل فهمتني؟».

لم تعلّق على اقتراحاته، بل استخدمت أسلوباً مباشراً وسألت عن النقطة الأهم: «هل تعرض عليّ العمل؟».

- نعم، شرط أن...

- أناسب الصورة المطلوبة.

ووقفت ثم مدت يدها لتؤكد الاتفاق... مجرد عمل وحسب. بعدئذ، أردفت: «فهمت واتفقنا يا سيد دافيلا. متى تريدني أن أستلم العمل؟».

وخطر لجايك وهو يرتدي ثيابه ليتوجّه إلى العمل أنها وجّهت إليه ضربة قوية. فميل روسي لم تكن ملحاً وحسب بل فلفلاً أيضاً... فلفل أحمر حريف حين تصمم على ذلك.

في اليوم الأول، جاءت تتبختر وتعرض نفسها، وقد بدت مثيرة للغاية، فيما راحت تسريحتها الجديدة تتمايل حول وجهها، والأهدّاب على حذائها العالي الكعبين يتراقص مع كل خطوة تخطوها فضلاً عن وركيها في التنورة القصيرة جداً. أما مركز إبزيم حزامها العريض والمزخرف فأثار صوراً لا علاقة لها بالعمل. في الواقع، أفقدت الرجال الذين يعملون في الشركة كلهم قدرتهم على التركيز.

إلا أنها لم تتأثر وكأنها لا ترتدي سوى بذة عمل عادية، بعيدة كل البعد عن الصفة الشخصية. لم تحاول أن تعبث مع أحد أو تغازل أحداً. ما من مشاحنة نسائية، أو محاولة لدفع الرجال المفتونين للعمل بدلاً منها.

إنها الآنسة كفاءة منذ البداية. وكان على جايك أن يتعايش مع ما جناه على نفسه.

ولهذا طوّر اللعبة. معركة الجنسين، معركة مثيرة، مبهجة ومنعشة، مسرّة ومرضية بشكل جميل. يمكن القول إنّ ميل هي الإثارة عندما يكون بعيداً عن أيّ محاولات إثارة نسائية. كان الأمر محصوراً في عقله حيث

ينبغي أن يبقى. ومهما عظم إغراء التورّط معها، إلاّ أن خطوة كهذه تعتبر خطأ فادحاً. ثمة نساء كثيرات مستعدات لمشاركته فراشهو لكن ثمة ميل روسي واحدة وهو لا ينوي فقان الأزيز اللذيذ للصراع في ما بينهما.

إن الفكرة التي خطرت له الليلة الماضية رائعة. لن تئن ميل وحسب بل ستحترق.

وبالكاد تمكّن جايك من انتظار معركة اليوم لتبدأ.

* * *

تحققت مرلينا من مظهرها في المرآة الطويلة المعلقة بباب خزانة ملابسها. كانت التنانير الواسعة التي تصل إلى الكاحل هي الموضة اليوم، وهي تشكّل تغييراً مرحباً به عن التنانير القصيرة التي لم تشعر يوماً بالراحة حين ترتديها بسبب نظرات جايك دافيلا المثيرة والاستفزازية في آن. إلاّ أن هذا لا يعني أن هذا اللباس سيمنعه من تأملها ومن الابتسام تلك الابتسامة الخاصة به والتي تعكس اعتداده بنفسه لأنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن هذا التغيير في مظهرها. كما أنّ هذه الابتسامة تظهر الرضا أيضاً.

هذا التصرّف يؤثر فيها دوماً لكنها لا تظهر ذلك أبداً. كانت تكرر لنفسها أنها ترتدي هذه الملابس من أجل العمل وليس من أجله، لكن لو كانت صادقة كلياً مع نفسها، لاعترفت بأنها أصبحت مدمنة على استعراض أنوثتها أمامه، مدمنة على شحنة الإغراء التي تنز بينهما، وهذا ليس في مصلحتها.

إنه يسيطر على حياتها إلى حدّ كبير ما جعلها تفقد الاهتمام بغيره من الرجال. ها هي تكاد تبلغ الثلاثين من العمر وحياتها كلها تدور حول شيطان مغرٍ لا يفكر أبداً في الزواج وإنجاب الأطفال. وإذا ما جسّد أيّ رجل يوماً رمز العازب المتنقّل من امرأة إلى أخرى لكان جايك دافيلا. ويبدو أنه يملك كافة الصفات ليستمر في ذلك.

إنه وسيم جداً، بعينيه البنيتين الكبيرتين اللتين تلمعان بشكل خطر وبأهدابه الطويلة الرائعة التي تحلم النساء بأن يتمتعن بمثلها، وحاجبيه

المعبّرين اللذين يبدوان أشبه بعلامتي تعجّب كلما تحدّث فضلاً عن شعره الأسود الكث والمتموج الذي يثير الرغبة في تمرير الأصابع فيه، وأنفه المستقيم وذقنه القوية وفمه المثير والاستفزازي والغمّازتين في خدّيه.

غمازتان!

وتمنت مرلينا لو أن هاتان الغمازتان لا تسحرانها إلى هذا الحد الكبير.

كل ما فيه يبهج العين أيضاً، فجسده جسد رياضي من الدرجة الأولى؛ فكتفاه عريضتان وعضلاته مفتولة حيث ينبغي لها من دون أيّ شحوم، وجسده يتناسب مع طوله المثالي... فهو طويل من دون مبالغة.

لم يولد هذا الرجل وفي فمه ملعقة من فضة بل صندوق من الأدوات الفضية، كما قُدّم له كل شيء على طبق من فضة. إنه يتحدّر من أسرة غنية جداً، كما كسب الملايين من شركته، من فكرته الذكية، من اختياره ثقافة موسيقى البوب. عند بلوغه الخامسة والثلاثين، كان العالم عند قدميه، بما في ذلك مجموعة من النساء الجميلات... عارضات أزياء، سيدات مجتمع، نجمات سينما وتلفزيون، كلهن مررن في مفكرته الاجتماعية وفي سريره من دون شك.

وبالرغم من قيامها بواجباتها على أكمل وجه كمساعدة شخصية له، إلاّ أن مرلينا شكّت في أنّ جايك يعتبرها لعبته المسلّية في العمل. كان يحب أن يتجادل معها، ويحب أن يضايقها. وكان يحب أن يكلّفها بمهام صعبة ليرى إن كانت قادرة على القيام بها كما ينبغي. هذا الرجل من محبي اللهو قلباً وقالباً. كانت تدرك ذلك، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الافتخار بقدرتها على النجاح في تحقيق آماله وعلى تلبية طلباته.

كان عاجزاً عن هزيمتها.

مستحيل! لن تدعه يفعل ذلك.

ورغم ذلك، أدركت أكثر وأكثر أنها أصبحت محجوزة في علاقة هوس مع مديرها... فهو البهجة واللون والإثارة في حياتها. كانت معجبة

بذكائه ونباهته... بطريقة معالجته للمسائل المهنية وبقدرته على بث الحماس والإبداع في موظفيه. كما نال استحسانها الصادر من صميم قلبها بكرمه في تقديره ومكافأته لأصحاب الأفكار الجيدة اللافتة.

التواجد معه مصدر إثارة دائم، فهو يتمتع بكثير من الصفات التي تحب وتكره، لأنه لن يعتبرها يوماً شريكاً يريده إلى جانبه. على الأقل، ليس في جوانب حياته كلها. هذه الحقيقة أوضح من أن تتجاهلها أو من أن تأمل أن تتغير. فجايك دافيلا نظّم حياته على شكل ألعاب حيث يسيطر هو على مسارها، ويديرها حسب رغبته. وهي لا تعدو كونها جزء من لعبته في مكان العمل.

وبالرغم من كل ما تعرفه ومن كافة الدفاعات الحذرة التي تحيط نفسها بها، تمكّن من أن يجذبها إلى دوّامة من العواطف والانفعالات وهو ما زال يشدّها ويسحبها بقوة إلى أعماق هذه الدوّامة. وإذا لم تخرج نفسها من هذه الدوامة فسينتهي بها الأمر وقد فقدت احترامها لنفسها.

وخطر في ذهنها أن ثمانية عشر شهراً مع جايك دافيلا هي قصارى ما يمكن لها تحمّله.

ما إن بلغت الثلاثين من العمر حتى شعرت أنّ وقت اللهو يجب أن يتوقف وأنّ عليها أن تسعى جدياً لإيجاد شريك يشاطرها حياتها لينشآ معاً أسرة. ولم ينفك والدها الإيطالي يذكّرها بأنّ السنوات المتبقية لها لتحمل محدودة وأنها أضاعت معظم هذه السنوات في السعي وراء حلمها المهني.

كانت أخواتها متزوجات ولديهن أسر.

وإخوتها تزوجوا وأنجبوا أطفالاً.

وهي ترغب في ذلك أيضاً... لكن وفقاً لشروطها هي وليس لشروط عائلتها. لقد رفضت أن تدع والدها يرهبها ويدفعها إلى ما يعتبره طريقة العيش المناسبة لبناته. وأقسمت ألاّ تتزوج إلاّ حين تصبح جاهزة لذلك. ما من حرية في قضاء الحياة وفقاً لتوقعات الأهل طوال الوقت، بل يحق لها أن تكون على طبيعتها وأن تكتشف شخصيتها وما تريده في الحياة

بنفسها.

لكنها لا تكون على طبيعتها في حضور جايك دافيلا.

عليها أن تواجه هذا الأمر وتضع حداً له وتتابع مشوار حياتها.

وخير البر عاجله!

أو عليها أن تدع ما تبقى من سنوات شبابها، لتذوي بسبب انجذابها الشديد إلى رجل لم يخطر له يوماً أن يشاطرها المستقبل الذي تريده فعلاً في أعماقها.

نادتها أختها: «مرلينا، ماذا تفعلين؟ الفطائر التي حضّرتها لك بدأت تبرد».

أجابتها بسخط وهي تلتقط حقيبتها عن السرير وتتوجه إلى غرفة الجلوس في شقتها الصغيرة: «قلت لك إني لا أريد أيّ فطائر يا سيلفانا».

- أنت نحيلة جداً ويجب أن تتغذّي.

صرفت مرلينا بأسنانها، فالكل يصرّ على إسماعها الكلام نفسه وقد طفح كيلها من ذلك. إن كانوا سعداء لأنهم مكتنزون فهذا لا يجعلها هزيلة. إنها أنحف منهم وحسب.

لا يمكنها أن تحافظ على صورتها إذا ما زاد وزنها، كما أنّ بنيتها ممتلئة أصلاً ما يجعل اتباع الموضة أمراً صعباً بما يكفي.

- تناولت بعض اللبن والفواكه، ولا أرغب في تناول أيّ شيء آخر.

صرّحت بذلك وهي أكثر من مستعدة لتوديع أختها التي جاءت إلى سيدني من غريفيث لتخضع لعملية لايزر لعينيها، والتي أمضت عندها ليلتها لئلا تضطر للاستعجال في الصباح.

كانت سيلفانا جالسة إلى طاولة المطبخ، مركزة على تغذية نفسها بمجموعة من الفطائر المغطاة بشراب القيقب.

وخطر لمرلينا أن أختها ممتلئة الجسم وتسعى لزيادة وزنها أكثر فيما هي تقول: «عليّ أن أذهب. آمل أن تتخلصي من قصر نظرك فلا تضطري لارتداء النظارات بعد الآن».

www.elromancia.com

كانت الشوكة المليئة بالفطائر في طريقها إلى فمها الذي بقي فاغراً فيما هي تحدّق في مرلينا مصدومة: «أهذا ما ترتدينه للذهاب إلى العمل!».

هذا يشير على ما يبدو إلى اللباس الذي اختارته بعناية. تنورة طويلة واسعة مزيّنة بزهور خضراء وزهرية اللون، وحزام زهري من القماش يحيط بوركيها، وقميص من القطن أخضر اللون، وعقد طويل ذهبي يتدلى من عنقها، وقرطان ذهبيان في أذنيها، وحذاء أخضر اللون عالي الكعبين في قدميها.

كانت أختها ترتدي بالطبع زيها الأسود المعتاد المحترم: سروال يصل إلى خصرها وقميص واسع يغطي كتل اللحم البشعة.

ردّت وقد احمرّ خداها من الانتقاد الضمني: «يُفترض بي أن ألبس على هذا النحو للذهاب إلى العمل يا سيلفانا».

- وأن تكشفي خصرك بهذه الطريقة؟

- اعلمي أنّ هذه التنورة هي آخر صيحات الموضة حالياً.

- ستبدو صرّتك إذا ما انزلق الحزام قليلاً.

- وماذا في ذلك؟

- سيصاب والدنا بجلطة إذا ما رآك تعرضين نفسك هكذا.

- أنت في المدينة يا سيلفانا. ولست مضطرة لأن ألتزم بقواعد المجتمع الإيطالي في غريفيث. لن تطالني الألسنة بالسوء هنا، ومن الأفضل ألاّ يثرثر لسانك أنت عندما تعودين إلى المنزل. هل فهمت؟

نفخت سيلفانا، فعلى الرغم من أنها أصغر من مرلينا بسنتين إلاّ أن زواجها وإنجابها للأطفال أعطاها على ما يبدو الحق في أن تنتقد أختها المتمردة. فعادت تقول: «يكفي أنك أقدمت على قصّ شعرك الجميل واتباع هذه الموضة المشعثة. أظن أن هذا العمل لا يعود عليك بالخير».

ردّت مرلينا بغضب رغم أنها توصّلت إلى الاستنتاج نفسه، إنما لأسباب مختلفة: «إنه خياري. سأخرج الآن. احرصي على إقفال الباب عند رحيلك وأبلغي الأسرة سلامي عندما تصلين إلى المنزل».

بادرتها سيلفانا قائلة: «ها قد غضبت!».

- أتساءل عن سبب هذا الغضب.

ومدّت لسانها فيما هي تمرّ بطاولة المطبخ لتصل إلى الباب الأمامي.

- انتظري!

وقفت سيلفانا ودارت حول الطاولة ثم ضمّت مرلينا بين ذراعيها في عناق سحق عظامها وأردفت: «لم أشأ أن أغضبك. إني أهتم لأمرك وهذا كل ما في الأمر».

- إذن، أرجوك أن تتوقفي عن وضعي في قالب لا يناسبني. نحن مختلفتان. وأنا أحب تسريحة شعري كما أحب ملابسي وعملي. لذا، دعيني وشأني، اتفقنا؟

وطبعت قبلة على خد شقيقتها ثم لوّحت لها مضيفة: «وداعاً وحظاً سعيداً عند طبيب العيون».

أعربت لها سيلفانا عن أسفها لأنها أغضبتها وشكرتها على ضيافتها قبل أن تتمكن مرلينا أخيراً من الفرار.

أو كادت تفرّ.

لوّحت لسيلفانا بيدها وزادت من سرعتها، مستغربة تصرّفاتها حيث تجرأت على خرق قواعد اللباس المحترم. إنها فعلة جايك دافيلا، لكنه لا يعلم أنه أسدى لها خدمة في تحديد شروط الصورة التي يرغب في أن تظهر بها. فالالتزام بهذه الشروط حررها في الواقع.

شكّل عملها مع جايك العذر، الإذن، المهماز الذي دفعها لفعل ما رغبت في فعله. لكن هذا لا يعني أنها بالغت في إظهار مفاتنها بدافع الإثارة. أو على الأقل هذا ما تظنه. فملابسها الداخلية لا تزال محتشمة، ولا تقارن حتى بلباس البكيني الذي لم تتجرأ على ارتدائه، إذ ما زالت تلتزم بلباس بحر من قطعة واحدة حين تسبح.

لا تزال سيلفانا ملتزمة بما يعتبره الإيطاليون ملابس محترمة. ورأت مرلينا أنّ ما من داعي لأن تشعر بالذنب بسبب أيّ من التغييرات التي

www.elromancia.com

أدخلتها على مظهرها.

شكّل قص شعرها صدمة لها في بادىء الأمر لأنه لطالما كان طويلاً. وهذا لا يعني أنه قصير جداً الآن، فقد اكتفت بقصّه من الأمام ليحيط بوجهها. وتنتهي الطبقة العليا منه تحت أذنيها تماماً أما الطبقة السفلى فتصل إلى كتفيها. وطبيعة شعرها المتموجة تجعل من السهل عليها الحفاظ على هذه التسريحة بشكل مرتّب. كما أنّ هذه التسريحة تتماشى مع ملابسها الجديدة.

شكّل جايك دافيلا القوة المحرّكة الكامنة خلف تحوّلها لكن هذا المظهر الحديث يعكس حالياً شخصيتها هي، وهي تحبه. لا بل أكثر من ذلك، فهي لا تنوي العودة إلى البذلات المتزمتة عندما تترك جايك، لكنها قد تضطر إلى الابتعاد قليلاً عن ملابس الصرعة. فهذه الملابس ستثير الاستغراب في أماكن العمل الأخرى.

على أيّ حال... لم تكن تجربة العمل مع جايك سيئة على الدوام. في الواقع، كان العمل منشطاً على مستويات عدة. إلاّ أنّ مرلينا راحت تحدّث نفسها بضرورة وضع حدّ لهذه العلاقة، فيما هي تقطع بالقطار المسافة التي تفصل شاتسوود حيث تعيش إلى ميلسون بوينت حيث تقع الشركة في مكان مميّز يطل على مرفأ سيدني.

يجب أن تترك العمل قريباً.

قريباً جداً...

٢ - أنا لا أنسى!

لا يمكن للحياة أن تكون أفضل. هذا ما خطر لجايك وهو يستند إلى الخلف في كرسيه المصنوع من الجلد الأزرق المائل إلى الرمادي والذي جمع بين الراحة والعملية. رفع رجليه على مكتبه، وشبك يديه فوق صدره، فيما شعر بالرضا يتملّكه ويملأ عقله وقلبه.

لا ترضى ميل طبعاً بجلسته هذه البعيدة كل البعد عن المهنية. سوف تدخل في أيّ لحظة وتحدّق في كعبي حذائه، رافضة إلقاء التحية عليه حتى يخفض قدميه ويضعهما على الأرض ثم يجلس مستوياً.

لميل معاييرها الخاصة.

يمكنها أن تنجح كمدرّسة.

أو كمربية...

وهذه الأفكار جعلت مخيّلته تجمح نحو عالم من الأحلام السارة.

وانتقلت نظراته بكسل إلى النافذة الكبيرة في الطرف من مكتبه والتي تطل على مشهد رائع لجسر مرفأ سيدني. لاحظ عدداً من المتسلقين الذين يشقّون طريقهم إلى أعلى الجبل للاستمتاع بالمنظر. بدا له النهار مناسباً لذلك، فالسماء زرقاء صافية، والشمس مشرقة. وخطر له أنّ عليه أن يقلّدهم يوماً ما...

وخطر في باله لحن الأغنية القديمة «سأتسلق الجبال». سيذكره لاحقاً للباحثين في الغرف الخلفية وسيطلب من مهندسي الصوت الاستماع إليه للاستفادة منه. لا بدّ من وجود هذه الأغنية في مكتبتهم الموسيقية. يمكنهم أن يعملوا على جزء من اللحن للأجيال الأكبر سناً التي لا تستسيغ

www.elromancia.com

الموسيقى الغربية على هواتفها الخلوية.

هذه الأغنية مأخوذة من أكثر الأفلام الاستعراضية شعبية وهو «لحن السعادة» لرودجرز وهامرشتاين، وهو الفيلم المفضّل لدى المسنين. يجب على شركته أن تخترق هذا السوق وتنتشر فيه بشكل أفضل، إذ لم تستفد من القدرة الشرائية لهذه الشريحة. لكن المشكلة تكمن في أن المسنين لا يستخدمون الإنترنيت بقدر الأولاد، علماً أنّ الإنترنيت هو مركز المبيعات. إلا إذا تمكنت الشركة من الوصول إليهم عبر الأولاد... عليه أن يطلب من العاملين على الكمبيوتر لديه أن يفكّروا في حلّ للمسألة.

نعم... يجب تسلّق كل الجبال.

كانت جولي أندروز، التي لعبت دور الراهبة - المربية في الفيلم، تتراقص في ذهنه عندما دُق باب مكتبه ودخلت ميل. توقّفت وحدّقت في حذائه على مكتبه، كما كانت جولي أندروز لتفعل عندما لعبت دور ماري بوبينز، فرفعت أنفها استهجاناً واستنكاراً لهذه الإساءة إلى معايير التصرّف الخاصة بها.

احترام، احترام، احترام... راح يردد هذه الكلمات في سرّه فيما هو يرفع قدميه ويؤرجحهما ببطء ليضعهما على الأرض وهو يكشّر في وجهها. لعلها تتصرف كمربية لكنها لا تبدو بالتأكيد كراهبة! في الواقع، تبخّرت صورة جولي أندروز من رأسه فيما احتلّت الرؤية أمامه الأولوية.

وبعد أن تأمل تمازج الألوان الجميل، وعرض الأنوثة الواضح، علّق قائلاً: «جميل جداً».

لكن ما خطر له فعلاً هو: مثير جداً. إلاّ أنه لم يعبّر عما جال في فكره لئلا تعتبر ميل كلامه تحرّشاً جنسياً.

قالت متجاهلة تعليقه على لباسها: «صباح الخير يا جايك».

لعلها سجّلت في ذهنها أنها تناسبت مع الصورة المطلوبة منها مجدداً. السيدة كفاءة لا تفشل أبداً، لكن جايك حضر لها تحدياً من نوع آخر لهذا اليوم.

علّق بسرور: «إنه بالفعل يوم جميل يا ميل. خطرت لي بعض الأفكار، فهل دفتر ملاحظاتك معك؟».

كانت تحمله على صدرها وكأنه درع، لكن جايك بارع بقدرها في تجاهل ما لا يرغب في رؤيته.

أجابت، رافضة كالعادة أن تهزم: «نعم».

التصرّف بأدب درع واقٍ أيضاً. وودّ جايك لو يفجّر ذاك الدرع ليصل إلى الجزء الحساس والضعيف في ميل روسي - إظهار داخل هذه المرأة.

دعاها باستمتاع: «اجلسي».

لم يكن هناك في المكتب سوى كرسي لشخص واحد من الجلد الأزرق المائل إلى الرمادي، فاضطرت للجلوس على إحداها. وبدلاً من أن تسترخي في الكرسي، جلست على طرفها ووضعت ساقاً فوق الأخرى كي تتمكن من إسناد دفتر ملاحظاتها إلى ركبتها.

- أنا جاهزة.

إنه تحذير بأن يتوقّف عن النظر إلى ساقيها وينتقل إلى العمل.

رفع جايك نظره إليها وابتسم ثم قال والمرح يتدفّق مع كلماته: «لا بدّ أنك جاهزة ومستعدة تنتظرين التحدّيات التي أعددتها لك لهذا اليوم».

وابتسمت ابتسامة في تكشيرة عريضة.

أكرهه!

هذه الفكرة لم تفارق ذهن مرلينا.

لن يأخذها جايك دافيلا على محمل الجدّ كشخص أو كامرأة أو حتى كإنسان لديه مشاعر ينبغي احترامها. لم يكن يكترث لأمرها، بل يتسلّى باللهو بها.

من الجنون الصرف أن تجلس ههنا وقلبها يشب كالمجنون ومعدتها تعتصر لأنه تأملها بتقدير ذكوري فيما غمّازتيه تغمزان لها. هذه الابتسامة العريضة على وجهه إشارة إلى أنه وضع مخططاً جهنمياً.

دفع كرسيه نحو الأمام وأسند ساعديه على الطاولة وانحنى إلى الأمام وعيناه تلتمعان، فيما انتظرت هي كالبلهاء لتسمع أفكاره النيّرة، لتعمل لاحقاً كالمجنونة على إنجاز التحديات التي وضعها.

قالت في سرّها إنها مجرد دمية يحرّكها على هواه. وما كانت لتشعر أنّ الوضع سيء إلى هذا الحد لو لم يكن هو الهوى الوحيد في حياتها لكنه كذلك. وعليها أن تتخلص من هذا الوضع، فإحساسها بقيمتها الذاتية أشار عليها بأنها الطريقة الوحيدة لتنجو بنفسها.

لكنه حالياً يحتبسها في هذه اللحظة، وتكاد تكون مقطوعة الأنفاس بانتظار ما يخبئه لها.

قال: «نحتاج إلى اجتماع للخروج بأفكار هذا الصباح. يجب أن تشارك فيه كافة الأقسام. أريد أن أطرح بعض الأفكار للوصول إلى سوق المسنين».

شعرت بالارتياح لسماعه يتكلم في شؤون العمل. وسألته: «في أيّ ساعة تودّ أن أحدد الاجتماع؟».

وجاءها الردّ على الفور: «عند الحادية عشرة وخمسون دقيقة. بعد قهوة الصباح، كي تكون أدمغتهم ناشطة وقبل الغداء كي يفكروا جيداً في المواضيع التي ناقشناها».

- حسناً!

وسجّلت الموعد في مفكرتها.

- أصدري هذه المذكرة حالاً يا ميل.

- سأفعل. هل من شيء آخر قبل أن أعمل عليها؟

تشدّق وفي عينيه لمعان خطر: «نعم، نعم».

ركّزت على الحفاظ على ملامح وجهها جامدة فيما هي تنتظر أن يكمل حديثه.

استند إلى الخلف في كرسيه ولوّح بيده فيما قال: «موعد عيد ميلاد جدي يقترب».

وخطر لها أن عيد ميلادها هي أيضاً أصبح قريباً.

- سيبلغ الثمانين من عمره.

وأنا سأبلغ الثلاثين.

- أريد أن أعدّ له شيئاً مميزاً.

وصمت فيما راح يراقبها كالصقر، منتظراً ليرى الاتجاه الذي ستسلكه طريدته.

بادلته مرلينا النظر بصبر، بعينين صافيتين، خاليتين عن عمد من أيّ شعور أو انفعال. لن تدعه يفقدها شهيّتها هذا الصباح! إلاّ أن الانتظار طال، فقالت أخيراً: «هل تودّ أن أقدّم لك اقتراحات؟».

ضحك: «أشك في أن تعرفي ما يسلّي جدّي يا ميل. عندما كنت صغيراً، طلب مني أن أناديه «فرقع» بدلاً من جدي لأنه كان خبيراً في فرقعة الفلين».

تعطّل دماغها الذي لطالما سيطرت عليه وفقدت قدرتها على الكلام بشكل سويّ.

- ربما لديك أنت أيضاً سبب وجيه كي تناديني بميل بدلاً من مرلينا.

تشدّق قائلاً وهو يبتسم في وجهها مجدداً: «ليتل وابين».

- عفواً؟

- فيلم ليتل وابين. بطله ميل غيبسون.

- أتربط بيني وبين ممثل... رجل؟

إذا ما سلّمنا جدلاً أن ميل غيبسون يبرع في أفلامه، إلا أنه رجل، فكيف يمكن لجايك دافيلا أن ينظر إليها كما يفعل إذا ما كان يعتبرها رجلاً؟ وتمنّت مرلينا لو أنها لم تفتح هذا الموضوع. لقد سئمت وحسب من أن يناديها بميل بدلاً من أن يستخدم اسمها. هذه الشوكة مغروزة في جنبها منذ بدأت عملها في الشركة ويبدو أنّ الحاجة الماسة إلى إخراجها والتخلّص منها تغلّبت عليها.

همست وهي تستعيد حذرها: «لا بأس، أنا آسفة لابتعادي عن

www.elromancia.com

موضوع عيد ميلاد جدك. أرجوك تابع».

فقال بشكل استفزازي: «صدقيني... صورتك عندي لا علاقة لها أبداً بذكورية ميل غيبسون».

- يسرني أن أسمع هذا.

إلا أنها لم تعد ترغب في سماع المزيد عن هذا الموضوع إذ يبدو جلياً أنه يتسلّى على حسابها وعدم الرد عليه هو أسلم الخيارات. لكنها لم تستطع أن تقاوم رغبتها في توجيه ضربة إليه قبل إقفال الموضوع: «كنت قد بدأت أتساءل عن مدى انحراف نظرتك. لكني أعتذر مجدداً، فتفكيري في غير محله. قلت إنك تريد شيئاً مميزاً لجدك».

ضايقها: «ألا ترغبين في إشباع فضولك؟».

فقالت رافضة الخوض في الموضوع: «أنا واثقة من أني لا أرغب في ذلك».

- لأن الفضول مهلك وأنت لا ترغبين في المخاطرة؟

وتراقصت عيناه بسخرية.

استشاطت غيظاً، ورغبت في مقابلة الأذى بالمثل: «عندما كنت صغيراً يا جايك، كان على أحدهم أن يعلّمك ألا تعبث مع القطط، فلها مخالب».

وافقها الرأي: «أنت محقة. كان يجب أن أحظى بمربية مثلك يا ميل. كنت لتحوّليني من دون شك إلى رجل مستقيم وممتاز».

إنه يعشق هذا الحوار، ويبتهج به ابتهاجاً شديداً.

أطبقت فمها بشدة. لن تتفوه بأي كلمة حتى يعود إلى الحديث عن العمل. كانت شفتاه تتراقصان مرحاً وغمّازتاه تلمعان بشكل شيطاني. لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تحملق فيه لكنها أبقت فمها مطبقاً.

أشار إليها بإصبعه: «هذا تماماً ما أعنيه... لما تذكرينني بميل غيبسون. الكثير من الطاقة المكبوتة التي تعلمين أنها ستنفجر عند إشعال الفتيل».

وراحت عيناه تتراقصان من الإثارة لفكرة فقدانها رباطة جأشها وتخليها عن هدوئها. تدفّق الدم حاراً في عروق مرلينا أشبه بحمم بركانية تهدد بالانفجار لكنها لم تشأ أن ترضيه بإعطائه رداً غاضباً؛ فهذا يعني أنه سجّل نقطة لصالحه. حافظت على وقارها بعبوس حتى استسلم أخيراً أمام الحائط الذي رفعته للدفاع عن نفسها.

- حسناً! لنعد إلى جدي...

تنفّست مرلينا الصعداء وهي لا تزال تحدّق فيه. إن بايرون دافيلا مشهور بتعدد زيجاته، وهو ينافس الملك هنري الثامن في عدد الزيجات. ولعل جايك ورث عنه هذا الميل إلى اللهو، إلا أنّ الفرق الوحيد هو أنّ جده اعتاد أن يتزوج النساء اللواتي يلهو معهن. قد يكون السبب هو فارق الأجيال، فالمجتمع لم يكن يتقبّل المغامرات العاطفية المؤقتة حينذاك.

- ... أريد تحضير قالب حلوى له.

- قالب حلوى.

كررت كلماته وهي تبعد نظرتها عن عينيه اللامعتين ثم دوّنت ما قاله في دفتر ملاحظاتها.

- قالب مميز جداً. ثمانية طوابق. طابق لكل عقد من عمره.

سجّلت مرلينا ٨ طوابق. وخطر لها أن في الأمر مبالغة، لكن... إنها ليست هنا لتفكّر في السبب، بل لتنفّذ أو تموت!

- كما أريد ثمانين شمعة حول طرف الطبقات.

أشارت: «سيصعب عليه أن ينفخها كلها».

فجاءها الرد اللطيف: «ستتفاجئين كم أنّ جدي معافى وفي صحة جيدة».

رمقته بنظرة ساخرة: «هل تودّ فعلاً أن تكبّد رئتيه كل هذا العمل الشاق في عيد ميلاده؟».

ابتسم: «يسرّني أن تهتمي لأمره يا ميل، لكني لا أريد شمعاً حقيقياً».

- شموع للزينة فقط؟ لن تتم إضاءتها؟

- للزينة، نعم. للزينة وحسب.

قلّبت عينيها ثم كتبت للزينة فقط.

قال جايك: «لن تكون حقيقية، شأنها في ذلك شأن قالب الحلوى».

لم يساعدها كلامه. شعرت مرلينا بعقلها يذوب. اشتدت قبضتها على الواقع المتين، على قلمها، ثم رفعت نظرها ببطء شديد عن دفتر ملاحظاتها الموضوع على ركبتها، وفي نيّتها أن تحدّق في معذّبها حتى يتصرّف كما ينبغي لرب العمل أن يفعل. قالت بصوت رتيب: «اشرح من فضلك».

ضحك فأطلق ألعاباً نارية في رأسها... صواريخ وشموع ارتفعت وتفجّرت.

كرهته، كرهته، كرهته.

لكن جلّ ما كرهته هو تأثيره العميق فيها.

كل خلية في جسدها أدركت وجوده، والفرح المترقرق في ضحكته والحيوية التي تضفيها على وجهه الوسيم جداً.

وخطر لها أنّ الشيطان يتملّكها، وعليها بطريقة ما، بطريقة ما، أن تحذفه من وعيها وتتحرر منه كلياً.

تشدّق، بعد أن اتزن أخيراً بما يكفي كي يتكلّم: «أخشى أن الاتصال بمخبز «قوالب الحلوى للمناسبات المميزة» لن يجدي نفعاً يا ميل».

بقيت صامتة، بانتظار التعليمات المناسبة.

- عليك أن تبحثي وتستعملي، لكني أظن أنّ فرق الدعم العاملة في كواليس المسرح يمكن أن تؤمن ما أريده.

قالب حلوى مزيف، ليس حقيقياً!

وأعادت تركيز ذهنها المشتت قبل أن تسأل: «ما هو العلو الذي تفكّر فيه وكم يبلغ عرض الطابق السفلي برأيك؟».

- أظن أن ستة أقدام تكفي كعلو. ويجب أن يكون الطابق العلوي واسعاً بما يكفي كي تخرج منه امرأة.

امرأة!

- يجب أن تتدرج الطوابق لتتناسب مع هذا الاتساع وتشكّل درجات كي تنزل المرأة.

يريد امرأة تخرج من قالب الحلوى!

- في الداخل، لا بدّ من وجود آلية ما تفتح غطاء قالب الحلوى وترفع المرأة فوق الطابق العلوي. آلية أشبه بمصعد صغير.

لا شك في أنه يريد المرأة في ثوب مغرٍ أو في لباس السباحة.

- ولا بدّ من وضع القالب على عجلات لسحبه وتقديمه لجدي في الوقت المناسب.

امرأة هدية لجده المحبّ للهو!

وبخها قائلاً: «لا أراك تدوّنين ما أقوله يا ميل».

فأجابت صادقة: «إنه مطبوع في دماغي».

- لا بأس، طالما أنك تدركين ما أريده.

- لا تقلق. ستسير الأمور على ما يرام.

- حسناً! والآن، المرأة...

نعم، بعد أن انفتح قالب الحلوي المزيّف، ما الذي سيظهر بالتحديد على المسرح؟

- يجب أن تكون شقراء.

طبعاً. يبدو أنّ جايك ورث عن جده حبه للشقراوات.

ابتسم لها ثم أضاف: «وممتلئة الجسم مثلك يا ميل. امرأة على غرار مارلين مونرو».

سرت رعشة خائنة في جسدها كله. جايك يقارنها برمز الإثارة الأول في عالم الأفلام.

وأردف قائلاً: «جدي لا يحب المرأة النحيلة».

لكن جايك يحب النحيلات. لا شك في ذلك، فكل من خرج معهن نحيلات كالقلم. لا أمل لديها في أن تلفت انتباهه، فوحدها عائلتها تظنها

نحيلة. كما أنها تتمتع بمزايا ميل غيبسون الخطرة في فيلم ليتل وابين، ما لا يعتبر مثيراً بالنسبة إلى رجل يحب النساء اللواتي لا يعقّدن حياته، فيدخلونها بسهولة ويخرجون منها بالسهولة نفسها.

اقترح جايك: «يمكنك أن تستعيني بإحدى عارضات الأزياء اللواتي تظهر صورهن في المجلات».

لم تستطع مرلينا أن تمنع نفسها من التعليق: «لا بدّ أنك تدرك أن مسألة قالب الحلوى هذه قديمة الطراز، وغرور ذكوري في أسوأ أوجهه».

وافقها الرأي ثم لوّح بيده في دعوة لها كي تتفهّمه: «طبعاً. جدي ما زال يؤمن بالزواج، أتصدقين هذا؟».

وهزّ رأسه مضيفاً: «قديم الطراز للغاية. سيحب هذا. إنه مشهد من فيلمه المفضل الذي عُرض في العام ١٩٦٦».

رفعت حاجبيها وسعت لتسجيل نقطة ضده: «يبدو أنّ الأفلام تملأ رأسك هذا الصباح».

ردّ: «إنها مرآة الحياة».

- هذا صحيح!

وصرفت بأسنانها قبل أن تسأله: «وما هو اسم هذا الفيلم؟ إذا ما استطعت العثور عليه فسأشاهده لأكوّن فكرة واضحة ودقيقة عما تريده».

- اسمه «كيف تقتل زوجتك» وهو من بطولة جاك ليمون وفيرنا ليزي.

علّقت بوحشية ناعمة: «أستطيع أن أفهم لما هذا الفيلم هو المفضّل لدى جدك. لقد تزوّج سبع مرات حتى الآن، أليس كذلك؟».

فأكد لها جايك: «طلاقه من زوجته السابعة سيتم قريباً».

وكم يبلغ عدد عشيقاتك أنت؟ سبع وسبعون؟

المشكلة هي أنها قد تصبح الرقم ثمانية وسبعين إذا ما ركّز عليها اهتمامه. لكنه لن يفعل، وهي تعلم أنه لن يفعل أبداً. إلاّ أنه، وفي بعض الأحيان، حين ينظر إليها...

أبلغها جايك: «ما من جريمة قتل حقيقية في الفيلم. إنه فيلم

كوميدي. يشارك جاك ليمون في حفلة تقام لوداع حياة العزوبية ويتم إدخال قالب الحلوى. تخرج فيرنا ليزا من القالب وتلتقي عيونهما فتنقلب الأمور رأساً على عقب! وهذه هي نهاية حياته كعازب لعوب».

ما تحتاجه هو أن تقلب حياة جايك دافيلا رأساً على عقب. وقبل أن تبحث عن عمل في مكان آخر، تودّ فعلاً أن تعبّر عما في داخلها ولو لمرة واحدة فقط. لعل إنهاء حياته كعازب مجرد حلم. ولعل قلب حياته رأساً على عقب حلم أيضاً لكن... وبدأت فكرة غريبة تختمر في رأسها، تضيء أجزاءً مظلمة حضنها ذهنها في الأشهر الثمانية الماضية.

- في حال لم أجد نسخة عن الفيلم، هلاّ قلت لي ما الذي كانت فيرنا ليزي ترتديه عندما خرجت من قالب الحلوى؟

ليس في الأمر مخاطرة، فالفيلم يعود إلى فترة الستينات.

- لباس بحر.

وعقد حاجبيه فيما هو يتذكر المشهد.

لباس بحر...

مثّل هذا الخلاص الأخير لعقل مرلينا الواقع في دوّامة، إن ارتداء مثل هذا اللباس تحت الأضواء سيشكّل دليلاً على الثقة بالنفس التي ستحملها معها عندما تتركه. كما أن أسرتها لن تعلم بالأمر أبداً. ستحتفظ بالسرّ لنفسها.

- أعتقد أنه كان مصنوعاً من الزهور. أنثوي للغاية.

ابتسمت وقد أعجبها الوصف.

مقبول تماماً.

وقابل للتنفيذ...

ازداد عبوس جايك، وراحت عيناه تتأملانها بحدة بعد أن أثار مزاجها الحسن المفاجيء شكوكه.

واتسعت ابتسامتها وهي تهب واقفة على قدميها قائلة: «حسناً، بما أنني حصلت على فكرة شاملة، سأبدأ بالعمل على تنفيذها...

بدا متفاجئاً من استعدادها للعمل على هذا المشروع.

- ما هو تاريخ عيد ميلاد جدك؟

طرحت سؤالها هذا بما أنه لم يحدد بعد الموعد.

- الشهر المقبل. في الرابع عشر من شباط، يوم عيد العشاق.

عندئذ، اقترحت بمرح: «ربما علينا أن نطلب قالب حلوى على شكل قلوب بدلاً من الدوائر».

انحنى إلى الأمام واستند بساعديه إلى مكتبه فيما حاولت عيناه أن تخترقا آلية عمل دماغها. يبدو أنه لم يتوقّع أبداً ردّ فعلها وهذا ما جعلها تشعر بالانتصار.

قالت بصوت مرتعش: «عيد العشاق يوم مميّز للمحبّين. قلوب وزهور، اتفقنا؟».

تنهّد واستند إلى الخلف في كرسيه ثم غمغم بسخرية: «اتفقنا. إذن، أعتبر أنك ستقومين بهذا العمل من أجلي».

- نعم، سأفعل يا جايك. ثق بأني سأفعل.

كانت تبتسم وهي تتجه نحو الباب، بعد أن أدركت أنها هزمته هذه المرة في لعبته. ولم يخطر لها أنّ الدوامة قد تجذبها نحو العمق أكثر فأكثر. سعادتها أعلمتها أنها في أعلى هذه الدوامة وتشقّ طريقها بعيداً عنها.

- لا تنسي المذكّرة!

فتحت الباب قبل أن تلتفت إليه وتعلن: «أنا لا أنسى أبداً».

راقبها جايك وهي تخرج من مكتبها وتغلق الباب خلفها.

لقد تمكنت وبطريقة ما من أن تقلب الطاولة في وجهه.

إنّ ميل روسي المرأة الأكثر قدرة على إثارته واستفزازه من دون شك!

جعلها تضطرب وحتى تغلي غلياناً، وكادت تنفجر، ثم... عادت الحلاوة والخفّة لتطلا برأسيهما.

عليه أن يجد فكرة أخرى لأنه يرفض الاعتراف بهزيمته أمامها. سيصل إلى المرأة في داخلها. المسألة مسألة وقت وحسب.

٣ - وحصل ما حصل!

كان على جايك أن يعترف بأنّ جده يجيد إقامة الحفلات. فالمنزل القديم والأراضي الرائعة المحيطة به مصممة خصيصاً لاستضافة عدد كبير من الأشخاص. وحتى في سن الثمانين أو ربما لأنه بلغ الثمانين، لم يكن بايرون دافيلا مستعداً للتخلي عن سمعته كأفضل مضيف! وهو لا يزال قوياً ويثبت ذلك بالدليل القاطع اليوم.

كما لم يفقد الرجل العجوز قدرته على لفت الأنظار وجذب الناس. فلم يقتصر الحضور على نخبة المجتمع في سيدني بل تعدّاه ليشمل كبار القوم في ميلبورن فضلاً عن لائحة طويلة من كبار المشاهير. ولاحظ جايك أيضاً أن عائلة دافيلا حضرت بأكملها... أربعة أجيال منها. فهو لم يكف يصادف الأقارب في كل مكان بين الضيوف. وهذا لا يعني أنه على علاقة وثيقة بأيّ منهم، فكثرة حالات الطلاق أدّت إلى تفكك أواصر العلاقات.

- جدك رجل رومنسي، أليس كذلك؟

جاءه التعليق من رفيقته إلى الحفل، وهي عارضة أزياء معروفة تدعى ميليسا هيل. ورفعت يدها تشتّم الوردة الحمراء المعلقة بسوار من القماش الأبيض قُدّم لها عند وصولها، كما حصل مع الضيفات الأخريات كلهن.

لم يستطع جايك أن يمنع نفسه من الابتسام بسخرية وهو يجيب: «إنه يعرف الطريق إلى قلب المرأة».

كانت ميل محقة حين اختارت أن تلعب ورقة عيد العشاق. ولا بدّ أن حمل الزهور الذي سلّم هذه الكميات الكبيرة من الورود المرتبة في باقات

ضخمة والموزعة في كل مكان قد كسب ثروة من هذه الطلبية. ورأى على صواني المشروبات التي يجول بها النوادل على الحضور صحوناً من الفضة تحوي حبات من الشوكولا البلجيكي على شكل قلب، فيما راحت الفرقة الموسيقية تعزف أغاني الحب القديمة.

تفاصيل ممتازة على المستوى الرومانسي!

وراحت فانيسا تثرثر: «إنها فكرة رائعة... إقامة حفل شاي إنكليزي. أنا أعشق هذه الطريقة في اللباس، فهي أنثوية للغاية!».

اعتمرت النساء قبعات مع شبك وارتدين الكشاكش والهُدب، فيما ارتدى الرجال البذات الصباحية واعتمروا القبعات، بحيث تشعر وكأنك في الرويل أسكوت أو في اليوم المخصص للسيدات في بطولة ملبورن... باختصار، وقت لهو وتسلية للأغنياء والمشاهير.

قال لها جايك رداً على النظرة المغناج التي رمقته بها: «تبدين غاية في الجمال في اللون الزهري يا فانيسا».

التمعت عيناها الزرقاوان سروراً فيما خطر لجايك أنها لو شاءت أن تبدو كصبية صغيرة، لكان عليها أن تجعد شعرها بدلاً من أن تتركه منسدلاً ناعماً على كتفيها.

الاهتمام بالتفاصيل هو أساس نجاح المظهر وميل خبيرة في ذلك.

ردّت فانيسا تقول: «وأنت تبدو رائعاً تماماً في بذلتك الصباحية المقلمة».

راح جايك يفكر في متعة الغزل لكنها لا تضاهي متعة المعارك والمبارزات الكلامية مع ميل روسي. سيشتاق لهذه المواجهات أثناء غيابها في عطلة، فالمساعدة المؤقتة التي اختارتها لن تقدّم له أيّ تحدٍ منشّط. الشهر المقبل من دون ميل سيكون فارغاً ومملاً.

لم تكن فانيسا قادرة على إثارة عقله، إلا أنها خبيرة في إثارة جسده. لا بدّ أن أفكار كهذه ستزعج ميل رغم أنه يتساءل أحياناً حين ترمقه تينك العينان الكهرمانيتان بتلك النظرة المتقدة جداً والمثيرة...

لقد رمقته بتلك النظرة في الأمس قبل أن تغادر العمل.

سألها: «هل كل شيء جاهز ليوم الغد؟».

فأجابت بثقة: «إذا كان التصميم الذي أعطيتني إياه لمنزل جدك صحيحاً ودقيقاً وإذا ما كان إخراج قالب الحلوى إلى الشرفة سهلاً، فسيجري العرض بشكل ممتاز من دون أي هفوات».

- الأجر الذي دفعته للمرأة التي استخدمتها باهظ.

ولم يكن بكلامه هذا ينتقدها، بل يبدي ملاحظة وحسب، إلا أنه أثار حفيظتها.

- كان عليها أن تجرّب ثوب السباحة المصنوع من الأزهار وأن تتمرن لتتأكد من أن المصعد في قالب الحلوى يعمل بشكل جيد. كما لا أظن أن جدّك سيُعجب بشخص سهل ورخيص. لهذا، قررت اختيار النوعية.

ورفعت حاجبيها في حركة تحدٍ ثم أردفت: «هل لديك مشكلة في ذلك يا جايك؟».

- لا، إذا كانت تستحق أجرها.

- حسناً، ستحكم على ذلك بنفسك غداً.

ترافقت جملتها الأخيرة هذه مع تلك النظرة المثيرة... المثقلة بالشغف. لعلها ممتعضة لأنه أوكل إليها مهمة تعكس مغالاة في التصرّف الذكوري، فسعت لجعله يدفع الثمن على طريقتها الخاصة. وهذا لا يعني أنه يهتم للكلفة، فوحدها النتائج تعنيه. ولا شك في أنّ احتراف ميل سيأتي بنتائج حسنة. إلاّ أنها أثارت اهتمامه وزادت شوقه إلى اكتشاف نوعية المرأة التي ستخرج من قالب الحلوى.

مظلاّت مخططة باللونين الأبيض والأحمر علت الطاولات التي وضعت في آخر المرجة الخضراء لتناول الشاي. إنه يوم رائع، فقد خفف النسيم الناعم والبارد الذي هبّ من ناحية المرفأ حرّ الصيف، ما جعل الجلوس في الخارج للاستمتاع بالجوّ ممتازاً.

كانت الطاولات مغطاة بشراشف بيضاء اللون فيما أحاطت بها

www.elromancia.com

كراسٍ منجّدة باللون الأحمر. وقد خصص لكل ضيف صحن وفنجان من الخزف الصيني الرائع، ترافقا مع أدوات مائدة من الفضة اللامعة ومنديل من الكتان الأبيض المنشّى على طبق من فضة أيضاً.

وبعد أن جلس الجميع إلى الطاولات، قدّم الشاي من أباريق فضية أنيقة ووضع الندلة قواعد قوالب حلوى مزينة من خمسة طوابق على الطاولات. وكانت هذه الطوابق مليئة بسندويشات متنوعة وقطع من الكعك المغطى بالسكر، والكعك المحشو بالتمر، والحلويات اللذيذة وأنواع أخرى من الكعك المختارة بعناية.

علّق أحد الضيوف الجالسين إلى طاولة جايك بإعجاب: «هذا يذكرني بفندق امبريس على جزيرة فانكوفر».

وراح يقارن الحفل بفنادق كبرى أخرى حول العالم.

بدا جلياً من الأصوات السعيدة حول الطاولات أن الحفل لاقى نجاحاً ساحقاً. وكانت الخطابات تتوالى بمرح وبهجة. انتظر جايك حتى تم تقديم الطبق الأخير، وهو أطباق من الفراولة المغطاة بالشوكولا والكريما المخفوقة، قبل أن يعتذر ويبتعد عن الطاولة. أخرج هاتفه الخلوي وأعطى إشارة الانطلاق للرجال الذين سيتولون مهمة جرّ قالب الحلوى الضخم إلى الخارج.

وأبلغ الأوركسترا سريعاً بأن تبدأ بعزف لحن «سنة حلوة يا جميل» عندما توقف قالب الحلوى للحظة ثم تحرك نحو طاولة جده حيث كان بايرون دافيلا يلعب دور المضيف لبناته الأربع اللواتي رزق بكل منهن من زوجة مختلفة ولأزواجهن الحاليين.

كانت والدته قد تخلت منذ زمن بعيد عن والده، وهو موسيقي شكّل غلطة شبابها. وهذا لا يعني أنها لا تبدو شابة رغم سنواتها الخمسين. فشعرها الأشقر الجميل أضفى عليها شباباً فيما حافظ وجهها الذي يكاد يخلو من التجاعيد على جماله. غريب ما يمكن للجراحة التجميلية والأموال أن تحققه.

أعلن جايك: «لديّ مفاجأة خاصة لك يا جدي».

- رائع! فأنا أعشق المفاجآت!

كان جده في صحة جيدة. ولا شك في أنه أشعل الغيرة بين بناته، محرّضاً الواحدة ضد الأخرى كما دار أيضاً على الطاولات، ناشراً سحره على النساء من الضيوف. وتساءل جايك عما إذا حدد زوجته التالية بما أنّ طلاقه السابع قد تمّ.

إنه لا يزال ممشوق القامة وأنيقاً، كما أنّ عينيه البنيتين لم تفقدا بريقهما. أما تجاعيد وجهه الذي صبغته الشمس والذي لم تظهر فيه أيّ بقع ناتجة عن التقدم في السن فمعظمها تجاعيد ضحك، كما أخفت لحيته السوداء والرمادية أيّ تهدل ظهر عند فمه وحنكه. وحافظ أنفه على انحناءته المتغطرسة، كما أبرز الشارب من تحته شكل فمه الشهواني. حاجباه اللذان خالطهما الشيب غطيا على مسألة صلعه لشدة قدرتهما على التعبير.

وتساءل جايك ما إذا كان شعره سيلاقي المصير نفسه عندما يتقدم في السن. علماً أن المسألة لا تهمه كثيراً. وهو تعجبه فكرة أن يبقى نشيطاً عندما يبلغ سن جده الحالي.

قال لجدّه: «هل أدرت كرسيك بحيث تواجه الشرفة، فمفاجأتك ستعلو المسرح بعد لحظات».

ردّ جده وقد هبّ واقفاً على قدميه، وعيناه تلمعان بتخمينات حماسية: «المسرح؟ هل هي فرقة من الفتيات الراقصات؟».

أنّبته فتاته الصغرى: «أبي!».

فعلّقت إحدى البنات الأكبر سناً: «لن يتصرف يوماً كما يقتضي سنه».

عندئذ، تدخلت والدة جايك مانحة والده ابتسامة تساهل عززت موقفها كابنته المفضلة: «ولِمَ عليه أن يفعل في حين أنه غير مضطر لذلك؟».

وعلا صوت أحد الضيوف قائلاً: «انظروا إلى هذا!».

وعلى الفور، انصب الاهتمام كله على الشرفة، وتعلّقت الأنظار بقالب الحلوى العملاق. كان يجرّه أربعة شبان يرتدون ملابس بيضاء كتب عليها عيد ميلاد سعيد وسط قلب طبع باللون الأحمر.

وخطر لجايك أنها لمسة موفقة من ميل، وقرر أن يهنئها عند عودتها إلى العمل.

ضحك جده وسدد له ضربة على كتفه قبل أن يصرخ وعيناه تتراقصان لذكرى فيلمه المفضل: «لم تفعل!».

ردّ جايك برضا سعيد لسرور جده: «بل فعلت!».

- هل تشبه فيرنا ليزي؟

- سنرى.

- إني متشوق لذلك.

وخطر لجايك أنه كذلك أيضاً. كان قالب الحلوى قطعة فنية في حدّ ذاته... فالحلى الدرجية والأزهار تحيط بكل طابق منه، والشرائط الحمراء اللون معقودة من تحتها. كانت الشموع على شكل مصابيح كهربائية مضاءة، ما يعني أنّ الطاقة تأتي من مولد كهربائي صغير داخل قالب الحلوى. فكرة رائعة أخرى من أفكار ميل! إنها فعلاً نسخة تتفوّق على الفيلم الأصلي.

أشار جايك: «ثمانية طوابق. واحد لكل عقد من حياتك يا جدي».

وجاء الرد المدوّي: «والأفضل سيأتي لاحقاً».

لا بدّ أنه التفكير الإيجابي! وأمل جايك أن يشعر على النحو نفسه عند بلوغه الثمانين.

وقف الجد والحفيد جنباً إلى جنب، يراقبان قالب الحلوى وهو يتوقّف للحظة. وما إن بلغ منتصف الشرفة حتى عمل شخصان على مدّ سجادة من الناحية الخلفية للطابق السفلي.

صرخ بايرون بهما وهو يتقدم ليصل إلى آخر السجادة: «أسرعا يا

شباب!».

سجادة حمراء بالطبع! إنها نقطة إضافية لمبادرات ميل. وهي تستحق علاوة على هذا.

لحسن الحظ، أدركت الأوركسترا أنّ عليها أن تتوقف عن العزف حتى ينتهي إعداد المشهد كلياً. لم يستطع جايك مقاومة الرغبة في أن يتبع جده، فوقف خلفه تماماً ليرى بوضوح المرأة التي استخدمتها ميل والتي قالت عنها إنها اختارت النوعية. وتعالت الثرثرة من الحشد خلفها، ثرثرة عكست تشوّق الحضور لمعرفة ما سيأتي. لا بدّ أنّ هذا المشهد سيشغل الناس لفترة طويلة، طويلة. وانحبست أنفاس الضيوف الذين تسمّرت أنظارهم على الطابق العلوي الذي انفتح غطاءه.

وراحت الأوركسترا تعزف لحن «سنة حلوة يا جميل» فيما أخذ الكل يغني بحماسة. بدأ رأس أشقر بالظهور من أعلى قالب الحلوى... شعر لامع، مُسرّح على طريقة مارلين مونرو، وغرّة تغطي الجبين. كانت عيناها منخفضتين، وجفناها مظللين باللون الرمادي، فيما الرموش الطويلة السوداء تلامس وجنتيها. فم شهواني جداً أبرزه أحمر الشفاه الأحمر اللامع.

ولم يدرك جايك من تكون حتى ظهر الوجه والعنق ولم يعد قالب الحلوى يخفيهما. إدراكه حقيقة هويتها كان أشبه بانفجار في رأسه.

إنسَ أمر الشعر الأشقر الخدّاع!

ما كان ينظر إليه هو وجه ميل روسي.

لا شك في ذلك!

الصدمة أفقدت جايك إحساسه بالواقع. لم يكن يتخيّل ولو بعد مليون سنة، مساعدته الخاصة والكفوءة تلعب دور امرأة شقراء لعوب في قالب حلوى! إنه أمر لا يصدّق! لكن، ها هي هنا، تظهر أمامه، ومفاتن جسدها بارزة بشكل فاتن.

كان ثوب السباحة الذي ترتديه مصنوعاً من الورد الأحمر. لا بدّ أنها

ورود اصطناعية لكنها تبدو حقيقية للغاية. وكانت تضع حول معصمها شريطاً أحمر اللون يتدلى منه قلب من القماش اللماع الأحمر اللون. ولم يكن قلب جايك في حالة جيدة، إذ راحت دقاته تتسارع فيما نظراته تلاحق خروج ميل البطيء من قالب الحلوى، لتظهر بالكامل وصولاً حتى حذائها المثير، العالي الكعبين والأحمر اللون أيضاً.

تنهد جده سروراً وقال: «واو! لقد أبدعت يا فتى!».

وكان جايك قد فقد قدرته على الكلام، فلم يجب.

لم يسمع الأغنية تنتهي لكن لا بدّ أنها انتهت إذ تعالى التصفيق، فيما تناهت إلى سمعه صيحات الرجال. وعادت نظرته المأسورة إلى وجه ميل، التي رفعت أهدابها لتوّها.

و... حصل ما حصل!

رمقته عيناها بكرات من نار.

لم تخفِ هذه النظرة شيئاً!

فشعر بها حتى أخمص قدميه.

وبرغم الضجيج الذي تعالى في تلك اللحظة، أنبأه حدسه بأن علاقته بميل روسي تغيّرت للتو... وإلى الأبد!

٤ - ضربة موفقة

نفحة من الرضا هدّأت أعصاب مرلينا المرتجفة. بدا جايك مذهولاً كلياً، ولم يستعد رباطة جأشه بسرعة. لقد حلّت الصدمة محل حيوية وجهه الوسيم المعتادة. لم ترَ أثراً للغمازتين على خديه، كما أن فمه بقي جامداً تماماً ولم تظهر عليه حتى لمحة تسلية بسيطة. لم تكن عيناه الداكنتان مفعمتين بالحيوية والبهجة كما فقدتا بريقهما المتألق. راح يحدّق فيها وكأنه منبهر، مسحور أو منوّم مغناطيسياً.

ما من شك في ذلك.

لقد عبّرت له عما في نفسها مع ثأر خفيف.

وها هي محور الاستعراض، في لباس البحر، وفخورة بنفسها لأنها تجرأت على ذلك.

إن الوقت الذي خصصته لهذا العرض والجهد الذي بذلته لنجاحه أتيا بثمارهما. يمكنها أن تنسحب من ساحة المعركة مع التقدير. لن تكون مهزومة أبداً!

إنما ما زال عليها أن تنهي الفصل وتنهيه بشكل صحيح. وأملت أن تعود عليها التدريبات التي أجرتها على النزول من قالب الحلوى في هذا الحذاء الأحمر المثير، بالفائدة. فالسقوط سيكون فظيعاً في هذه المرحلة. ركّزت نظراتها على بايرون دافيلا الذي لا بد أنه الرجل الواقف عند أسفل السجادة الحمراء وأمام جايك تماماً، ثم رسمت على شفتيها ابتسامة بطيئة، شهوانية تهدف إلى تدفئة تغضّنات سنواته الثمانين.

علماً أنه لا يبدو في الثمانين، بل في أوائل الستينات، والابتسامة التي

www.elromancia.com

بادلها إيّاها عكست تقديراً ذكورياً لمظهرها ما منح مرلينا التشجيع الذي تحتاجه لتنطلق في عملية النزول حتى السجادة الحمراء التي تؤدي إليه مباشرة.

وراحت تقول في سرّها: «فكّري كمارلين مونرو».

وبدأت الأوركسترا تعزف لحن أغنية معروفة فيما شرعت مرلينا تشق طريقها وتنزل الدرجات وهي تشعر بالامتنان. فمن الأسهل بكثير أن تبدو مثيرة ورشيقة وهي تتحرك على وقع الموسيقى بدلاً من أن تنزل والصمت يحيط بها والحضور كلهم يحدّقون فيها. وصلت إلى السجادة الحمراء من دون أيّ هفوة، ومصممة على تجاهل جايك. توجّهت مباشرة نحو جدّه وثقتها بنفسها تتزايد مع كل خطوة تخطيها.

لقد فعلتها وهذا رائع فعلاً!

شعرت بنظرة جايك عليها وأحسّت بدوامة عنيفة من الأفكار تنطلق منه لتدور من حولها وتلتف عليها. وعادت أعصابها نشيطة جداً، لكنها لم تعد ترتجف خوفاً من الفشل كحالها من قبل بل راحت تتز تيهاً وابتهاجاً لأنها أوقعت محرّك الدمى في شرّ أفعاله وجعلته يتشابك مع خيوطه.

وكان بايرون دافيلا ينظر إليها كما تمنت دوماً أن يفعل جايك... بإعجاب متألق واهتمام مأسور. هذا الانتصار كان مبهجاً، ما جعل ابتسامتها تتسع وتتألق فيما تراقصت عيناها بنظرة جريئة وهي تلتفت إلى الرجل الأكبر سناً. مدّ ذراعيه مرحّباً بها فيما توقّفت هي للحظة. فكّت الشريطة عن رسغها وقدّمتها له مع القلب الأحمر.

قالت موجّهة سرورها الخاص نحوه مباشرة: «عيد ميلاد سعيد يا سيد دافيلا. أتمنى أن يبقى قلبك مملوءً بالفرح والسعادة دوماً».

- إنه كذلك يا عزيزتي وذلك بفضلك.

وربط الشريطة حول معصمه، ثم أخذ يديها بين يديه وضغط عليهما بخفة فيما عيناه تلمعان تشجيعاً ثم أردف: «أفضّل في هذه المرحلة من حياتي ألاّ أضيع الوقت. فما اسمك؟».

فردّت مشددة بعض الشيء على الاسم: «إنه مرلينا. مرلينا روسي».

- مرلينا...

كرر الاسم وكأنه يتلذذ بطعمه: «اسم جميل لامرأة جميلة».

- شكراً لك يا سيد دافيلا.

- ادعني بايرون.

- شكراً لك يا بايرون.

- والآن يبقى السؤال الأهم...

ورفع حاجبيه في غزل مغرٍ، ثم أردف: «... هل ترضين بالزواج مني؟».

ضحكت. فمن سخرية القدر أن يعرض عليها جدّ الرجل الذي تريده فعلاً الزواج أمامه، سواء أكان هذا على سبيل المزاح أم لا.

قال جايك بنبرة نزقة، غاضبة، بعيدة كل البعد عن التسلية: «أنت تبالغ يا جدّي، فقد رأيتها لتوّك».

فردّ بايرون باستمتاع، وعيناه لا تفارقان عينيها للحظة: «نعم! إنه الحب من النظرة الأولى. وما من مثيل له! شكراً لك يا جايك لأنك اخترت لي مرلينا».

صرف بأسنانه ثم قال بنبرة خشنة ساخطة: «لم أخترها! كما لا يمكنك الحصول عليها، فهي لي!».

التفت بايرون نحو حفيده بعبوس: «لك؟ رأيت عارضة أزياء نحيلة متعلقة بذراعك طيلة بعد الظهر، فعد إليها يا فتى. لا يمكنك الحصول على الاثنين وأنت تعلم ذلك».

خطر لمرلينا أنه محق. وشعرت بمودة شديدة نحو بايرون دافيلا الذي يفهم كيف ينبغي أن تكون العلاقات. ورمقت جايك بنظرة ازدراء ساخنة لأساليبه المستهترة. إذا أراد أن يحصل عليها، فعليه أن يتخلّى عن النساء الأخريات ويحارب جده من أجلها. كما أنّ عليه أن يتجاوز بعض عوائقها أيضاً، كالزواج والأولاد. وهذا ما لن يحصل، وهي تعلم

ذلك. إلاّ أن إدراكها لهذه الحقيقة لم يطفىء حلمها بحصول معجزة مفاجئة تغيّر مجرى حياتيهما.

قال جايك بلهجة مهددة: «ميل هي مساعدتي الخاصة!».

فسأله جدّه: «ميل؟ ميل؟ ومن هي ميل؟».

بدأت مرلينا تحب بايرون دافيلا. فهو يحارب بدلاً منها، مجبراً جايك على الاعتراف باسمها الحقيقي.

- هذه المرأة التي سحرتك هي ميل.

وحرك جايك يده بشكل حركة المقص وكأنه يرغب في إنهاء هذا المشهد على الفور. والتفت إلى مرلينا ليؤكد ما أعلنه.

حملقت فيه بدورها وهي تقول في فكرها: مستحيل. لن أنقذك بعد الآن. حلّ أمورك بنفسك.

أعلن بايرون الذي عاد باهتمامه إلى مرلينا، وراح يبتسم لها وكأن نساء العالم الفاتنات كلهن اجتمعن في شخصها: «يجب أن تعدم بالرصاص لأنك تشوّه هذا الاسم الجميل. إنه النسخة الأنثوية لاسم ميرلن، الساحر العظيم. وقد وقعت أسير سحرك يا عزيزتي».

آه، إنه بارع فعلاً! هذا ممتاز! لا عجب في أنه أوقع سبع نساء في شراكه. لعل ثروته الكبيرة تجذب العديدات لكن الرجل في حدّ ذاته ساحر للغاية.

أمرها جايك وهو يصرف بأسنانه غضباً: «أخبريه! أخبريه أنك مساعدتي الشخصية».

أخذت مرلينا نفساً عميقاً ثم تنهدت برضى لتشوّش ربّ عملها: «كنت مساعدة جايك الخاصة يا بايرون».

وصمتت للحظة ثم أردفت: «لكني لم أعد كذلك».

استشاط جايك غضباً: «ماذا تعنين بقولك إنك لم تعودي كذلك؟».

رفرفت بأهدابها وهي تلتفت إليه: «تركت استقالتي على مكتبك بالأمس. لا يحق لك بعد الآن أن تطالبني يا جايك».

بدا مصعوقاً من جديد، وفقد قدرته على الكلام مؤقتاً.

هذا رائع!

وابتسمت بحلاوة لجده: «لذا، أنا حرة في تمضية ما شئت من الوقت معك يا بايرون».

وافقها قائلاً: «أحسنت!».

لكن جايك لم يقل كلمته الأخيرة بعد. وعاد يقول بعزم: «لا يمكنك أن تغادري من دون إشعار».

والتمعت عيناه وهو يذكّرها: «هذا تصرف غير أخلاقي يا ميل».

- أعتقد أن مدة شهر أكثر من كافية لتجد بديلاً عني يا جايك. وقد أشرت إلى ذلك في استقالتي. لديك الشهر القادم بأكمله لتجد بديلاً عني.

وأدرك الحقيقة فجأة، ما جعله يقطّب: «لكنك ستكونين في عطلة هذه المدة كلها».

- نعم. وأنت مدين لي بهذه العطلة كما تعلم.

فهي لم تحصل على أيّ عطلة أثناء الأشهر التسعة عشر التي أمضتها كعبدة له!

وافق بايرون بصدق: «رائع! أين تودّين تمضية هذه العطلة يا مرلينا؟ يكفي أن تنطقي بكلمة واحدة وسوف...».

فقال جايك من بين أسنانه المطبقة: «مرلينا... ليست شقراء حقيقية».

هل انفجر فيه عرق دم ليهاجم على هذا المستوى الشخصي؟...

حملق بايرون فيه وقال: «هذا أيضاً حال عارضة الأزياء النحيلة التي ترافقك يا فتى. كن فتى طيباً وعد إليها. أفهم خيبة أملك لأنك فقدت مرلينا إنما يبدو أنك لم تكن تقدّرها بما يكفي».

خطر لها أنه محق تماماً، وشعرت بأنها بدأت حقاً تحب جدّ جايك.

وجاء الردّ عنيفاً: «أنا لا أعني أن شعرها مصبوغ، فشعرها بني داكن. وهي تضع الآن شعراً مستعاراً!».

هذه ضربة وضيعة وخبيثة، ضربة تحت الحزام.

تأمل بايرون شعرها بنظرة تقدير: «يا له من شعر مستعار متقن الصنع! لقد خدعتني».

عندئذ، وجّه جايك الضربة القاضية: «إنها تخدعك يا جدي».

ابتسم لها بايرون: «ما من شيء أجمل من أن تحتال عليك امرأة».

الانقباض في صدر مرلينا خفّ مع مرور محاولة الإذلال الواضحة. وبادلت بايرون الابتسام قبل أن تقول: «لقد وضعت الشعر المستعار لكي أسعدك في يوم عيد ميلادك يا بايرون. قال جايك إنك تفضل الشقراوات».

- حسناً، أجد نفسي الآن ميالاً نحو ذوات الشعر البني. وبما أنك جئت على ذكر عيد ميلادي...

وصمت للحظة قبل أن يستدير قليلاً ويقدّم لها ذراعه ويقول: «اسمحي لي أن أرافقك إلى طاولتي حيث يمكننا أن نحتفل معاً».

- هذا لطف منك!

ووضعت يدها على ذراعه.

لم تكن متأكدة ما إذا تذمّر جايك لكنه رمقها بنظرة وكأنه يتمنى لو يمسك بها ويخنقها. بدت عدائيته خطرة فعلاً، ومثيرة أيضاً.

ربّت بايرون على يدها وابتسم بودّ لحفيده: «أشكرك يا جايك. هذه أجمل هدية يمكنك أن تقدّمها لي».

ولوّح بيده مضيفاً: «يمكنك إبعاد قالب الحلوى لكني سأحتفظ بمرلينا. واطلب من فضلك من الأوركسترا أن تعزف لحناً خاصاً، وليكن رومنسياً».

وترك جايك واقفاً وقد بدا على أهبة الاستعداد للقتال، فيما قاد بايرون مرلينا عائداً نحو ضيوفه بمشية منتصرة. وفكّرت في أنه قد يركل قالب الحلوى، ثم قررت أن تغازل جده بشكل جسور حتى انتهاء الحفل.

همس بايرون في أذنها: «ما هذا المرح! أرى أن ثمة مسائل عالقة بينك

وبين حفيدي، وقد أيقظته لتوك من سباته».

ابتسمت له وقد لاحظت التسلية الواضحة في عينيه: «شيء من هذا القبيل».

- أحسنت يا عزيزتي. لا أعلم ما الذي يراه في أولئك النساء النحيلات.

تنهدت: «لا أظن أنّ ما حصل سيغيّر شيئاً يا بايرون».

- كلام فارغ! لقد نضج.

اعترفت له بخجل: «إنها حرارة اللحظة وحسب، وكان هذا مفيداً لكبريائي. لكن جايك، وعلى عكسك، ليس من النوع الذي يتزوج، وقد ضيّعت ما يكفي من حياتي عليه».

نصحها قائلاً: «الوقت ليس مناسباً للاستسلام يا مرلينا. أنت في أعلى الموجة وعليك أن تركبيها حتى تصلي إلى شاطىء الأمان. حان الوقت كي يتزوج هذا الفتى وأنا موافق عليك من صميم القلب. فامرأة مثلك تضفي على حياة المرء الكثير من الإثارة».

ضحكت وضمّت ذراعه بمودّة حقيقية: «أنت شخص رائع يا بايرون. لكني لا أظن...».

- دعي الأمر لي، فأنا بارع في المؤامرات.

- أوافق على كلامك هذا. فطلب يدي للزواج ضربة رائعة!

- يمكننا أن نستفيد منها. هلاّ رافقتني وسأمنحك خاتم خطوبة من الماس.

جمدت مرلينا مكانها، وقد شعرت بأنها غير واثقة مما ستؤول إليه الأمور مع جدّ جايك: «بايرون، أنت رجل رائع لكني لا أستطيع أن أتزوجك فعلاً».

ضحك: «إنها محاولة لإيقاظ النيام يا عزيزتي. منذ متى وأنت تعملين لحساب جايك؟».

- منذ تسعة أشهر.

www.elromancia.com

- إذاً، فقد غمزت الصنّارة، حتى وإن كان لا يدرك ذلك بعد.

هزت مرلينا رأسها: «لا أظن أن الأمور وصلت إلى هذا الحد. فقد مرّت في حياته سلسلة من النساء أثناء عملي معه».

وافقها بايرون الرأي: «إنه يأخذ ما يرغب فيه من دون الحاجة إلى الالتزام».

وربت على يدها مجدداً: «لنركّز على جعله يدفع الثمن. كوني رفيقتي مدة أسبوع. أسبوع واحد من حياتك مرلينا، لنرى ما إذا كان جايك سيأتي إليك».

إنها فكرة مغرية! فكرة أن تثير غيرة جايك دافيلا بحيث يفقد صوابه هي حلم أحلامها الأكثر غرابة. ليت هذا يحصل...

- أعدك بأنك ستتسلين. سأصطحبك للتسوّق وسأرافقك إلى المسرح وسنتناول العشاء في الخارج. سنظهر معاً في كل مكان، وسنشكّل ثنائياً رائعاً. وأراهن أن جايك لن يتمكّن من تجاهل ذلك.

قالت: «أنت شيطان بقدره يا بايرون».

وخطر لها: لِمَ لا؟ ستتمكن من تحمّل أسبوع تعامل فيه كرفيقة مدللة، أليس كذلك؟ بعَض المرح قبل البدء بالبحث عن عمل جديد. وإذا ما كانت مرافقة جده، ستدفعه...

- لقد ورث جيناته عني.

وقرعت أجراس الإنذار في رأسها على الفور. لعل بايرون دافيلا بلغ الثمانين لكن مرلينا تشك في أن يكون قد فقد شيئاً من رجولته. التفتت إليه وقالت: «عليك أن تعدني بأن تتصرف كرجل شهم ومهذب إذا ما وافقت على اقتراحك».

ضحك: «أعدك بأن أبعد يديّ عنك. أعرف أين هو اهتمامك يا مرلينا، وإني على استعداد تام لمساعدتك إذا ما استطعت ذلك».

صدّقته. وقررت المغامرة فليس لديها ما تخسره: «حسناً، أنا موافقة».

فقال بنبرة تقدير: «هذه فتاتي! يا له من عيد ميلاد رائع! والآن،

دعيني أعرّفك إلى والدة جايك».

وتابعا طريقهما نحو طاولته.

ومن خلفها، بدأت الأوركسترا تعزف لحناً رومنسياً.

www.elromancia.com

٥ ـ طفح الكيل

عاد جايك إلى طاولته وهو يرغي ويزبد لأن ميل أو مرلينا أفسدت مفاجأة عيد الميلاد التي أعدّها. إن اهتمام جده بها لا يُحتمل أبداً. لقد فعلتها كي تظهر احتقارها وازدرائها للعبته ولتضع اللمسة الأخيرة على استقالتها، لترحل وتدير له ظهرها من دون أن تأبه بردة فعله. كان مغتاظاً من خروجها المنتصر من حياته، إلى حدّ بالكاد استطاع معه أن يتجاوب مع ثرثرة أصدقائه المرحة، ومع مزاح الرجال منهم خاصة.

- نعترف لك يا جايك بأن هذا العرض كان رائعاً. مارلين مونرو وصاحبة الحسن والجمال في امرأة واحدة!

- إنها رائعة. الإثارة تسير على قدميها!

- لو كانت في الحديقة، لشعر أيّ رجل برغبة في التوقف ليشتمّ رائحة الورود!

- يبدو أنّ هذا ما يفعله جدك الآن. أحسنت يا جايك!

- أين وجدتها؟

- لا بدّ أنها كلفتك ثروة.

ثروة فقط! الكلفة كانت غير مقبولة أبداً. فخسارة ميل كمساعدة شخصية له... ستترك فراغاً كبيراً في حياته. وعندئذ، تذكر أجر عارضة الأزياء المهول. إنها ضربة دنيئة منها. وكاد يهب واقفاً وهو يفكر كيف خدعته ميل وحضّرت لانسحابها من العمل.

ردّ مستعيناً بكل ذرة من الإرادة لديه ليضبط صوته بحيث لا يبدو عنيفاً بقدر شعوره: «لم أكن أحتسب الكلفة. جلّ ما أردته هو إسعاد جدّي».

واختبار قدرات ميل وهزمها. إلاّ أنها نالت منه!

قالت فانيسا بطريقة جافة، وهي تومىء برأسها نحو طاولة جدّه: «لا شك في أنك نجحت. يبدو جدّك متيّماً بها».

ها هو يعرّف ميل إلى والدته وخالاته وهي تضحك وقد أرجعت رأسها إلى الخلف. وشدّ جايك قبضته.

وليزداد الطين بلة، علّق أحد الشبان: «إنها تستحق كل قرش دفعته من أجلها. أين قلت إنك عثرت عليها يا جايك؟».

تدخّلت فانيسا وفي صوتها نبرة غيرة: «ما هذا؟ كل هذا الكلام عن النجمة أمام النساء الموجودات على هذه الطاولة ينمّ عن عدم كياسة».

وافقتها النساء الرأي على الفور، إنما بنبرة أكثر مرحاً من نبرة فانيسا النزقة، ما ذكّره بما اعتاد جده أن يقوله وهو أنّ النساء النحيلات لا يفكّرن سوى بأنفسهن. لا بد أن فانيسا منزعجة للغاية لأن امرأة أخرى أشدّ إغراء منها خطفت الأضواء.

حاول جايك أن يوليها الاهتمام الذي تريده لكن قلبه لم يطعه وبقي يحوم في مكان آخر، حتى أنه لم يعد يجدها جذّابة. ولن يطيل السهر معها الليلة... لا، لم يشأ ذلك. في الواقع، بالكاد استطاع أن يقاوم الانجذاب المغناطيسي والرغبة في مراقبة ما يحصل بين ميل وجده.

لن يمنح مساعدته الشخصية الرضا عبر إظهار الاهتمام بتصرفها المشين في هذه الحفلة، لكن كان من الصعب عليه أن يبقي نظره مركّزاً على فانيسا وعلى رفاقه الآخرين، كما وجد الثرثرات مزعجة جداً. وتحوّل الوضع كله إلى معاناة بانتظار أن تنتهي الحفلة.

وأخيراً، بدأ الضيوف بالمغادرة. وقرر أصدقاؤه تمضية السهرة في ملهى ليلي معروف، لكن جايك لم يشأ أن يرافقهم. لم يكن مزاجه يسمح بأن يتصرف بشكل متمدن، فكيف يمكنه أن يمرح ويلهو. وطفح بفانيسا الكيل حين اعتذر، متحججاً بالتزامات أخرى. واقترح عليها أن ترافق الآخرين إذا كانت ترغب في ذلك فقالت وهي مقطّبة إنها ستفعل.

www.elromancia.com

وتساءل جايك كيف أمكنه أن يعتقد أنها مثيرة. إلاّ أن كبرياءه منعته من إنهاء علاقتهما فيما ميل لا تزال قادرة على رؤيتهما معاً. فمن شأن هذا أن يمنح الآنسة روسي نصراً ساحقاً عليه، نصراً لم يشأ أن يمنحها إياه.

كانت متعلّقة بذراع جدّه الذي وقف يودّع ضيوفه، وراحت تلعب باتقان احترافي دور المضيفة مظهرة ثقة كبيرة بالنفس، ما ضايق جايك إلى أقصى حد. وضع ذراعه اليسرى حول خصر فانيسا وهما يقتربان ليودّعا مضيفهما ويغادرا الحفل.

قال مبتسماً ابتسامة عريضة: «حفلة رائعة يا جدي».

مدّ الجدّ يده اليمنى وصافح جايك بقوة: «إنها رائعة بفضلك يا فتى. لا يمكنني أن أشكرك كفاية».

تدخّلت مرلينا قائلة بفرح: «نعم، فكرة قالب الحلوى كانت رائعة، فقد أمضيت وقتاً ممتعاً مع بايرون».

أجبر جايك نفسه على النظر إليها وقد تحولت ابتسامته إلى تكشيرة: «شكراً لك. واسمحي لي أن أهنئك على قيامك بمهمتك على أكمل وجه».

ثم وليظهر أنه يتقبّل الخسارة بروح رياضية وليعوّض عن ردّ فعله العصبي السابق، أردف: «أتمنى لك النجاح في العمل الذي ستختارينه تالياً مهما كان، يا ميل».

ليلعنه الله إن ناداها باسم مرلينا!

فردّ جدّه وهو يغمزها بخفة: «ستختار الزواج إذا ما كان لي أيّ تأثير على قرارها».

خرخرت وهي تضمّ ذراعه في تعبير عن فرحها: «آه، بايرون!».

شعر جايك بمعدته تنقبض وأعصابه تتشنج.

زأر الأسد في داخله ورغب في أن يحمل ميل روسي ويمزّقها بمخالبه.

سألها بصوت حاول أن يجعله يبدو مهتماً ومراعياً: «هل هناك من يقلّك إلى منزلك؟».

ابتسمت وقد التمعت عيناها الكهرمانيتان ببريق دافىء: «هذا لطف بالغ منك! لكني لا أحتاج إلى من يقلني. فقد طلب مني بايرون أن أبقى معه وأنا مستمتعة جداً بصحبته...».

فما كان منه إلاّ أن سأل على الفور: «وماذا عن الملابس؟».

صورتها وهي تتبختر في لباس البحر المصنوع من الورود في سهرة خاصة مع جدّه جعلته يرغب في إمساكها من شعرها وجرّها إلى كهف.

ردّت بسهولة ووضوح: «أحضرت معي بعض الملابس. وافق النادل على الاحتفاظ بحقيبتي حتى انتهاء الحفل. لا تقلق عليّ يا جايك».

تدخّلت فانيسا لتقول بوضاعة: «لا، أنا واثقة من أنه لن يفعل. شكراً لك على هذه الحفلة الرائعة يا بايرون».

فردّ، مظهراً ما يكفي من الرقة ليراعي امرأة نحيلة بدأت تظهر علامات تحولها إلى امرأة لئيمة: «يسرني أنك استمتعت يا عزيزتي».

وتمكن جايك من أن يقول قبل أن يبعد فانيسا: «اعتني بنفسك يا جدّي».

فأعلن جدّه بتهور: «سأعتني بمرلينا بدلاً من ذلك. سنذهب للتسوّق غداً».

وابتسم لها ابتسامة توقّع قبل أن يردف: «ثمة محال تجارية رائعة في دابل باي. ويمكننا أن نتناول الغداء في دويل، فثمة طاولة جاهزة لي دوماً».

صرخت المرأة الفاتنة وهي تدنو أكثر منه: «آه، يا إلهي!».

لقد طفح الكيل!

وغادر جايك على عجل والغضب يتآكله جاراً معه فانيسا التي اعترضت: «لا تسرع، فأنا أنتعل حذاء عالي الكعبين كما تعلم».

تذمّر وقد فقد كياسته كلياً: «يمكنك أن تكوني حافية القدمين، الأمر لا يعنيني».

وقفت فانيسا جامدة، وراحت ترغي وتزبد: «كنت تخطط للحصول عليها، أليس كذلك؟».

هذا الاتهام جعل جايك يقف بدوره: «لا، لم أفعل!».

وجاء البرهان المثقل بالنكد والتذكر: «بقيت تحوم حولها عندما خرجت من قالب الحلوى، وأردت منذ لحظات أن توصلها إلى منزلها. كما أنك الآن مغتاظ وفي مزاج سيء لأنها فضّلت البقاء مع بايرون».

كرر جايك غير مصدق: «في مزاج سيء؟».

- لا تحاول الإنكار! ولا تظن أني سألعب دور البديل عن فتاة قالب الحلوى. وداعاً يا جايك! سأتركك مع تيم وفيونا.

وبعد أن أهانته برفضها له، وابتعدت عنه وهي تختال بمشيتها، عادت والتفتت إليه لتقذفه بكلام حاقد: «آمل أن تصبح زوجة جدك!».

لن أسمح بذلك ولو كلّفني الأمر حياتي!

جمد جايك في مكانه فيما الفكرة تخترق عقله بعنف مذهل.

ولأول مرة في حياته، لم يعرف كيف يتصرف.

لم يكن لديه خطة.

الركض خلف فانيسا لا معنى له، فهو لا يريد تمضية وقته معها. من الأفضل أن يقطعا علاقتهما ببعضهما، ولا يهم من قام بذلك. ليدع فانيسا تشعر بالرضا لأنها من قطع العلاقة!

إلا أن تخلّي ميل روسي عنه أمر آخر...

إنها ضربة تحت الحزام...

عليه أن يقاوم!

عليه أن يربح المعركة!

إنها تستخدم جدّه كسلاح وكدرع، لكن ما إن تصبح وحدها...

عندما تعود إلى شقتها في شاستوود، سيكون في انتظارها، ولن يدع ميل روسي تقفل الباب في وجهه!

حلّ منتصف الليل... ولم تعد بعد!

بلغ إحباط جايك وغضبه ذروته. لا بدّ أنها ستمضي الليلة في منزل جده. لهذا، ما من فائدة من بقائه هنا أكثر. حتى لو عادت الآن، فسيبدو

كرجل غبي، غيور، لأنه انتظرها حتى الساعة ليواجهها، وهو ليس غيوراً أو أحمق. كان يعلم ما الذي تخطط له. إنها تحاول إنهاء اللعبة بنقاط لصالحها، لكنه مصمم على أن تكون الكلمة الأخيرة له.

عاد إلى منزله وهذا القرار يغلي في ذهنه.

إلاّ أن فرصة تحقيق النصر عليها بدت صعبة. لم تجب ميل على أيّ اتصالات نهار الأحد، فراح جايك يرغي ويزبد لفكرة أنها خرجت فعلاً تتسوق وتتناول الغداء مع جده. وأمر نفسه بأن يهدأ، فالمسألة مسألة وقت. عليه أن ينتظر بعض الوقت قبل أن يتمكن من محاسبتها.

وجاء نهار الاثنين حاملاً معه مزيداً من الإحباط. ووجد صعوبة متزايدة في أن يتصرف بشكل متمدن مع مساعدته المؤقتة لأنها ليست ميل. كانت فتاة شقراء، نحيلة، لم تنفك تتودد إليه من دون أن تثير لديه أيّ اهتمام. في الواقع، شكّ في أن تكون ميل قد بحثت خصيصاً عن امرأة تتناسب والمعايير التي يعتمدها في اختيار صديقاته. إنها صفعة جديدة توجهها إليه!

وما زال المجيب الآلي يطالعه كلما اتصل بها في شقتها. هل غادرت لتستمتع بإجازتها؟ أو... لا، لا يعقل أن تكون برفقة جده. كان الأمر مجرد لعبة... ألم يكن كذلك؟

واتصل بمنزل جدّه.

ردّ على اتصاله رئيس الخدم، فقال بسرعة: «أنا جايك. هل جدّي هنا يا هارولد؟».

- لقد خرج السيد بايرون.

تردد جايك، لكن الحاجة إلى معرفة الحقيقة دفعته للسؤال: «وماذا عن الآنسة روسي؟».

- الآنسة روسي برفقة السيد بايرون.

انقبضت معدة جايك، وقال بنبرة عنيفة: «ومتى سيعودان؟».

- سيقدم العشاء في موعده المعتاد. لذا، أتوقع أن يعودا قبل هذا

www.elromancia.com

الموعد.

يعودا! إنه لا يتكلم عن جدّي وحده!

وأجبر جايك نفسه على أن يقول: «شكراً هارولد. سأعاود الاتصال لاحقاً».

- هل من رسالة يا سيدي؟

- لا، شكراً لك.

كان من المستحيل أن يركّز على أيّ عمل، فذهنه لا يزال مشغولاً بأمر ميل. هل تعدّى الأمر كونه لعبة؟ إنّ جده ثري وقادر على أن يحيط المرأة بقدر ما تشاء من الرفاهية، لكن ميل لا يمكن أن تفكر في الزواج من رجل في الثمانين من عمره.

لعلها احتلت منصب مساعدته الشخصية، مع ما يترافق مع ذلك من فوائد. فسيسعى جده إلى تدليلها إلى حدّ إفسادها وسيستمتع بكل دقيقة يمضيها وهو يفعل ذلك.

تباً لهما!

بدت له هذه الفكرة صعبة الاحتمال بقدر فكرة الزواج. لكن، ماذا في وسعه أن يفعل حيال ذلك؟ لم تفارق هذه المشكلة عقله، وراح يفكر فيها ويعيد التفكير، وكان لا يزال مشغولاً بها حين أبلغته مساعدته المؤقتة بأن فانيسا هال تود التحدث إليه عبر الهاتف. تمكّن بعد جهد جهيد من أن يجبر عقله على التعامل مع كارثة أخرى من كوارث حفلة جده. كان الوقت متأخراً وأمل ألا تسعى إلى المصالحة.

سألها بكياسة: «فانيسا... كيف يمكنني أن أخدمك؟».

- عدت لتوي من عرض أزياء في حفل خيري...

إنها تذكره بأنها ملكة المسرح ويجب أن تقيّم على هذا الأساس.

وتابعت تقول بنبرة ناعمة: «أتعلم من حضر الحفل يا جايك؟».

اقشعر بدنه، وقال بعد أن أدرك هدف الاتصال وقرر أن يبدو غير مهتم للأمر: «أخبريني».

- بايرون وصديقته من قالب الحلوى.

- لا بدّ أنهما أمضيا وقتاً ممتعاً.

- نعم، بالتأكيد! يحق لهما أن يحتفلا ولسبب وجيه. فهي تضع في إصبعها خاتماً من الماس، خاتم خطوبة. أتمنى لهما السعادة يا جايك!

www.elromancia.com

٦ - أنت لي

بدأت مرلينا تقدّر سحر حياة الأثرياء وتعتاد عليه. فالجناح الذي تشغله حالياً فخم للغاية، ومنذ أن وطأت قدماها منزل بايرون المذهل، لم تقم بأي عمل من الأعمال الروتينية التي اعتادت عليها، فما من طبخ أو تنظيف أو غسيل أو كوي. كانت مهمتها تقتصر على الاعتناء بمظهرها وعلى البقاء على أهبة الاستعداد لمرافقة بايرون الذي يلاحق المسرّات على اختلاف أشكالها وأنواعها.

من ناحية الدلال الصرف، هذه أفضل بداية لأيّ عطلة قد تحصل عليها، لكن بدا من المستحيل ألاّ تفكر في جايك الذي تأثر على الأرجح برحيلها وخروجها من حياته. هل افتقدها في العمل اليوم؟ أم أنّ المساعدة المؤقتة، التي اختارتها له خصيصاً، تقدّم له التسلية المناسبة التي يقدرها زير النساء؟

والتفتت إلى الخاتم الماسي المذهل الذي أصرّ بايرون على أن تضعه، مشيراً إلى أنه ضروري لنجاح التمثيلية وحصد النتائج. وتحركت أصابعها بشكل تلقائي ليتلألأ الضوء على أوجه الحجر الكريم الرائع. إنه فاتن، لكن ثروات العالم كله لا يمكن أن تمنحها ما تريده فعلاً. هل هذه الخطوبة الزائفة من جده ستدفعه للتخلّي عن حياة العزوبية حيث لا مسؤوليات ولا ارتباطات؟

وتنهدت تنهيدة عميقة ثم أمسكت بفرشاة شعرها، مصممة على ألاّ تدع الرد على هذا السؤال المزعج ينغّص عليها حياتها. فلديها حياة تعيشها مهما حصل، ومن الأفضل الآن أن تركّز على لعب دور العروس

المثالية لبايرون.

وفي حين نجح الشعر المستعار الأشقر في حفل عيد الميلاد، فضّلت إظهار شعرها البني الداكن الطبيعي في الواقع. إذا لم تُعجب جايك وهي على طبيعتها، فهذه مشكلته وليست مشكلتها هي. إنّ انجذاب المرء إلى شخص آخر هو ما يضفي عمقاً على علاقتهما، عمق يكفي كي ينجح الزواج.

وبعد أن جددت زينتها، تحققت مرلينا من مظهرها في المرآة الطويلة قبل أن تنزل إلى الأسفل لتلاقي بايرون قبل العشاء. كانت ترتدي أحد الفساتين الجديدة التي اشترياها في جولة التسوّق التي قاما بها في الأمس، وهو ثوب من الحرير الأبيض يزيّنه حزام عريض من الجلد يلتفّ حول خصرها. إنه أنيق ومثير في آن وقد أحبته، لا سيّما بعد أن اختارت له حذاء جديداً أبيض مناسباً. ورأت أنه لباس أنيق يليق بمقابلات العمل، ولم تأبه لثمنه.

إذا لم تنجح هذه المحاولة مع جايك، فستفتح صفحة جديدة في حياتها، وتنطلق من جديد بعد أن تتخلص من كل ما يذكّرها به، بما في ذلك الثياب التي اختارتها لتتناسب مع صورة الشركة. كما ستتخلص أيضاً من البذلات السوداء المحافظة. فهي إرث مما توقّعته عائلتها منها وقد تناسبت مع عملها السابق بما أن ربة عملها كانت تكره أن يسرق أحدهم منها الأضواء. أما الآن فهي تتحلى بما يكفي من الثقة بالنفس كي تختار ما يناسبها وتلتزم به.

وقد حان الوقت أيضاً كي تجد لنفسها زوجاً، رغم أن العثور على رجل ترغب في قضاء حياتها معه يشكّل مشكلة. فبعد أن عرفت جايك... وهزّت رأسها. إجراء المقارنات تصرف غبيّ. ألم تدرك منذ البدء أنّ جايك ليس من النوع الذي يتزوّج؟

رغم أنّ بايرون يظن أنه قد يدرك أنها المرأة المناسبة له كي يتزوّج إذا ما استُفزّ بشكل كافٍ. ويبقى الأمل في أن يصح هذا التحليل لإنجاح

مشروع الزواج يداعب قلبها. فالأحلام لا تذوي بسهولة.

لكن مهما كانت نتيجة مخططات بايرون، يبقى عليها أن تبحث عن عمل جديد. فما من عودة إلى الوراء، بل عليها أن تمضي قدماً. هذا هو الخيار الوحيد المتبقي لها.

وبعد أن عقدت العزم مجدداً، نزلت مرلينا السلالم وتوجّهت إلى غرفة الاستقبال الرئيسية. وما إن دخلت إليها حتى خطر لها أنه وحده الرجل الخارق الثراء يمكنه أن يختار أثاثاً أبيض اللون. بدت الكنبات رائعة بين الأثاث الأثري اللّماع والسجّاد الملون على الأرض الخشبية، لكن الحفاظ على نظافتها لا بدّ أن يشكّل أزمة في منزل عادي.

تقدّم منها بايرون، الذي بدا رائع الأناقة في سرواله وقميصه الأبيض وسترته المصنوعة من الكتان الأسمر، حاملاً في يده كأسين من الكريستال. انحنى لها بإعجاب وكأنها أفضل ما اختاره يوماً. لا شك في أن جايك ورث الكثير عن جدّه.

صرخ بنبرة انتصار: «لديّ أخبار جيدة لك يا عزيزتي! لقد أبلغني هارولد للتو أنّ جايك اتصل بعد ظهر هذا اليوم وسأل عنك!».

تسارعت نبضات قلبها حين أدركت أنّ جايك لم يمحها ببساطة من حياته، كما خطر لها أنه سيفعل بعد أن جرحت كبرياءه برحيلها المفاجىء من المكان الذي خصصه لها.

ودفعها المنطق لأن تقول: «لعله واجه مشكلة في العمل».

ابتسم لها بايرون: «كما سأل متى سنعود إلى المنزل؟ أتوقع أن يزورنا الليلة».

همست مرلينا: «لعله سأل بعد أن أغاظته فكرة ألاّ يجدني عند الحاجة».

سخر منها بايرون قائلاً وعيناه تلمعان مكراً: «تحلّي ببعض الإيمان يا فتاة، فقد نسيت ورقتنا الرابحة».

- خاتم الخطوبة؟ أنّى له أن يعرف؟

- أراهن على أن فانيسا هيل لم تستطع أن تنتظر حتى تطلعه على الأمر.

- ولمَ تفعل هذا؟

- لأنها فقدت صوابها وتمرغت كرامتها في الوحل حين أظهر جايك اهتماماً بالغاً بك يوم الأحد. ثقي بي، فأنا أعرف النساء جيداً.

لم تناقشه مرلينا في ذلك، فقد تزوّج بايرون سبع مرات ولا شك أنّ تجاربه تفوق المرات السبع هذه. وانبعثت منه الثقة وهو يقدّم لها كأس العصير ويرفع كأسه قائلاً: «نخب النجاح يا عزيزتي».

ذكّرت مرلينا نفسها بأنّ عليها ألاّ تبيع السمك وهو في البحر. إلاّ أن النخب الذي اقترحه بايرون لا يقاوم. كانت تأمل أن تنجح وإن لم تستطع أن تشعر بالثقة كما يفعل. وكانا يرتشفان العصير عندما دخل رئيس الخدم.

بادره بايرون: «نعم يا هارولد».

- فتحت لتوّي البوابة الخارجية للسيد جايك يا سيدي.

- رائع! في الوقت المناسب تماماً!

شعرت مرلينا بتشنج شديد في معدتها.

أما رئيس الخدم، وهو رجل في الخمسين من عمره، طويل القامة ونحيلها، وحريص دوماً على وقاره، فاسترخى بما يكفي كي يبتسم لسرور مستخدمه: «هل أعتبر أنكم ثلاثة أشخاص على العشاء يا سيدي؟».

- أشك في أن يكون حفيدي في مزاج يسمح له بتناول العشاء معنا. لا تقدّم العشاء حتى أطلب منك ذلك يا هارولد.

- كما تشاء يا سيدي.

ودُقّ جرس الباب فخرج هارولد من الغرفة ليستقبل الضيف ويدخله.

علّق بايرون بنبرة مرحة: «يا لهذه السرعة! لا بدّ أنّ جايك يقود

بسرعة جنونية. هل أنت جاهزة للمواجهة يا مرلينا؟».

أخذت نفساً عميقاً، محاولة أن تهدىء نفسها. إنها لحظة المواجهة... لحظة الحقيقة والحسم! فرد فعل جايك على الوضع سيعلمها ما إذا كانت تعني له شيئاً أكثر من مجرد جرح في كبريائه وعزّة نفسه.

قالت بتصميم: «فلنبدأ اللعب».

ابتسم لها ابتسامة نابعة من صميم القلب: «هذه فتاتي!».

كلامه جعلها تبتسم. إذا لم تنجح حملة جدّ جايك لتزويجها ولم تحقق أي نتيجة، فيكفيها ما فعله لثقتها بنفسها ولكبريائها، إذ عززهما وجعلها تشعر بأنها امرأة تستحق الاهتمام.

وجّهها قائلاً: «والآن، اشربي. تذكري أننا نحتفل».

- حسناً!

وارتشفت بعض العصير.

وترافق جيشان عواطفها وأعصابها مع دخول جايك، جيشان تغلغل في كل خلية من خلايا جسد مرلينا.

وجاء التعليق الساخر: «سمعت أن علينا تقديم التهاني!».

انتفض قلبها فيما اقشعر بدنها. وبالكاد تمكّنت مرلينا من منع نفسها من الاستدارة لمواجهته. يجب أن تسيطر على نفسها وتحافظ على رباطة جأشها، فهذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع جايك.

أجاب بايرون بجرأة، مانحاً إياها لحظة لتستعيد هدوءها: «ما سمعته صحيح يا فتى».

ورسمت على وجهها ابتسامة عريضة ثم التفتت نحوه، رافعة يدها اليسرى كي يرى الخاتم الملفت للغاية قبل أن تقول بسعادة: «نحن مخطوبان وسنتزوج».

ابتسامة جايك المصطنعة لم تعكس أيّ سعادة من أجلها، كما لم تظهر غمازتيه كالعادة. أما نظرة عينيه البنيتين الداكنتين فبدت قاتلة وهي تتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها، متجاهلة الخاتم الماسي الذي ينبغي

أن تركّز عليه. كان يرتدي سروالاً من الجينز وقميصاً ذا كمين قصيرين، وهو اللباس المفضّل لديه للعمل. لكن التوتر الذي ينبعث منه ويثير أعصابها بدا بعيداً كل البعد عن الاسترخاء الذي ينبغي أن تعكسه ملابسه.

قال بنبرة أشبه بخنجر ملفوف بحرير، خنجر طعنها في قلبها مباشرة: «يا لحسن حظك! لن تضطري للبحث عن عمل جديد».

المعنى المبطن الذي حمله كلامه جعل الدم يتدفق إلى وجهها. لم تكن يوماً من الباحثات عن المال والذهب وكرهت أن يظنها كذلك. إلاّ أن العقل والمنطق أعلماها بأنّ جايك لا يمكن أن يراها بشكل مغاير في مثل هذه الظروف، وأنّ من المستحيل أن تعترض. فاللعبة كلها ستفشل إذا ما قالت الحقيقة.

ضحك بايرون، منقذاً إياها من هذا الموقف المحرج: «أظن أن مرلينا لن تجد متسعاً من الوقت للعمل وستكتفي بلعب دور زوجتي. أستطيع أن أرانا نعيش حياةً صاخبة جداً. سنبدأ أولاً برحلة طويلة حول العالم...».

- نعم. تخطيطها ممتاز، وهي صفة افتقدتها للأسف اليوم. فبديلتها المؤقتة محدودة التفكير. أودّ أن أتحدث إلى ميل على انفراد، إذا لم يكن لديك مانع يا جدي. آمل أن نتمكن من حلّ المشاكل التي تسبب بها رحيلها.

العمل!

إنه لا يأبه بحياتها.

إنه مهتم وحسب بعمله الغالي.

صحح له بايرون كلامه: «القرار يعود لمرلينا. وأودّ أن أضيف أنك تزعجها حين تناديها ميل. فلطالما كرهت هذا الاسم، وليس من الحكمة أن تستخدمه إذا أردتها أن تساعدك».

- أنت محق.

وانحنى نصف انحناءة أمام مرلينا مضيفاً: «أعتذر لأني شوّهت اسمك مجدداً. إنها إحدى العادات السيئة».

والتمعت عيناه فيما تابع يقول: «إذا ما تكرّمت وساعدتني في هذه المسألة...».

فقالت بشيء من عدم الصبر، وقد أنّبها ضميرها لأنها تركته يتخبّط في المشاكل: «نعم، نعم. أنا آسفة على خياري بالنسبة إلى بديلتي. لكني ظننت أنها ستعجبك».

ضاقت عيناه وكأنها سددت إليه لتوها ضربة. وهذا ما فعلته في الواقع، فاختيارها فتاة شقراء نحيلة لتحلّ محلها كان هدفه توجيه صفعة إليه. جاء تصرفها هذا بدافع الضغينة، إذ أحسّت بأن اختياره للنساء اللواتي يشاركنه حياته يقلل من قيمتها. لكن العمل هو العمل وما كان عليها أن تدع المسائل الشخصية تشوّش على حكمتها، وحكمها على الأمور.

قال بايرون متطوّعاً: «حسناً، سأترككما لتحلاّ مشاكلكما. أتود أن تنضم إلينا على العشاء؟ وأن تشرب نخب سعادتنا المستقبلية؟».

- لا، شكراً.

جاء الرد حاداً، لكنه عاد ولطّفه بابتسامة مصطنعة قبل أن يضيف: «ما ربحته أنت خسرته أنا. لا أشعر برغبة في تناول الطعام الليلة».

أومأ بايرون: «فهمت. ستشاركنا في مرة أخرى. سأخبر هارولد أنك لن تبقى على العشاء».

شعرت مرلينا بالتوتر يتصاعد في الغرفة مع رحيل بايرون الذي خرج مقفلاً الباب خلفه. حدّقت إلى الأسفل، إلى ما تبقى من العصير في كأسها، متمنية لو تغرق هذا الإحساس المؤلم بخيبة الأمل الذي يمزّق فؤادها. بدت اللعبة سخيفة جداً الآن، أشبه بملاحقة سراب. إلاّ أنها غير مستعدة للاعتراف بالحقيقة لجايك، فكبرياؤها لا تسمح بذلك وتدفعها للاستمرار في التمثيلية.

- أرى أنك غيّرت مظهرك ليتلاءم مع أسلوب عيش جدي.

نبرته الساخرة جعلتها ترفع رأسها تحدّياً فيما راح الغضب يعتمل في صدرها: «إني أرتدي ما يلائمني أنا يا جايك. هذا أنا. طفح الكيل من التناسب مع صورة ما. لست... لم أعد الفتاة الواجهة لشركتك. في الأسبوع الماضي، لم يكن عيد ميلاد جدّك وحده. كان عيد ميلادي أنا أيضاً، علماً أنّ هذا لا يعني لك شيئاً، لكنه يعني لي الكثير. لقد بلغت الثلاثين من عمري، ولم أعد مراهقة تتبع الموضة».

ووضعت كأسها على الطاولة قرب الكنبة بعنف ثم أسندت يديها إلى وركيها في وقفة عدائية قبل أن تردف: «كما أنّ جدك يحبني كما أنا. ويطري على كل ما فيّ، بما في ذلك شعري الأسود!».

ارتفعت ذراع جايك وأشار إليها بإصبعه: «لم أطلب منك يوماً أن تغيّري لون شعرك».

- لا، لكنك طلبت مني أن أقص ما تركته ينمو لسنوات. الشعر الطويل تقليد في أسرتي، لكنك لم تزعج نفسك بالسؤال عمّا إذا كان قصّه يزعجني. إما هذا وإما لا شيء.

- كان بإمكانك أن تخبريني. كنا في مرحلة مفاوضات.

- كنت غبية بما يكفي لأرغب في الحصول على العمل.

شعر بالمهانة فردّ ساخطاً: «غبية بما يكفي! كان العمل المثالي لك. لقد تجلّت مواهبك كلها فيه. كما كان أجرك جيداً. هذا من دون ذكر المبلغ الذي منحته لنفسك لتخرجي من قالب الحلوى».

- استحقيت كل قرش أخذته. لقد حصلت على ما تريده تماماً لقاء مالك يا جايك دافيلا.

- لا، لم أفعل!

ولوّح بيده بشكل مبالغ فيه، عاكساً ما يشعر به من إحباط ورافضاً إدعاءها.

سألته بنبرة حادة: «أين خذلتك إذن؟».

تحول فمه إلى خط غاضب فيما حدّق فيها بعينين عاصفتين وارتفع صدره وهبط في حركة شهيق وزفير سريعة ثم أسقط يديه بطريقة يائسة وهو يعترف أخيراً: «لم تخذليني. لكني أحتاج إليك في العمل».

هذا هو جوهر المسألة.

جايك مرتبك.

شبكت مرلينا ذراعيها على صدرها في تصميم لدفع أيّ محاولة لإضعافها. هذا أكثر من كافٍ. لن تعود بل سترحل وتمضي في سبيلها.

أعلنت بدقة باردة: «لقد تدبّرت أمرك من قبلي، وستتمكن من فعل ذلك من بعدي».

- لا أريد أن أفعل.

كاد يصرخ بها إلاّ أنه عاد وأخفض صوته مضيفاً: «ما الذي يمكن أن يعيدك إلى العمل؟».

- لا يمكنك أن تقدّم لي شيئاً يجعلني أبدّل رأيي.

انقبضت يداه إلى جانبيه. بدا وكأنه مستعد لخنقها، وكأن الطاقة العنيفة التي تعصف في داخله بحاجة إلى مخرج ما. راح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بخطى غاضبة.

إلاّ أن مرلينا بقيت جامدة في مكانها، تتأمله برضا كبير. كم من مرة ودّت لو تخنقه؟ سرّها أن تنقلب الموازين ولو لمرة، وأن تراه وقد فقد السيطرة على الوضع، واختفى إحساسها بالذنب لاختيارها تلك البديلة عنها. جايك دافيلا يستحق بعض العذاب، فقد رأت الويل معه.

صرخ بها وعيناه تحدّقان في عينيها بقوة محرقة: «لا يمكنك أن تتزوجي جدي».

كلامه أثار فيها حبّ القتال: «بلى، يمكنني ذلك!».

هزّ رأسه في حركة رفض: «كيف يمكنك أن تتزوجي رجلاً عجوزاً مثله؟».

- قلب بايرون لا يزال شاباً.

رماها بردّ مثقل بالغلّ والحقد: «لكن جسده جسد رجل في الثمانين من عمره».

أجابته بازدراء متغطرس لتركيزه على الجسد: «لكنه محافظ على لياقته».

ناقشها بعنف: «لكن هذا لا يجعله مثيراً».

- جدك مثير بقدر شون كونري، الذي لا يزال يعتبر أحد أكثر نجوم السينما إثارة في العالم بالرغم من سنه. إن لجدّك العينين البنيتين اللامعتين نفسهما، والسحر نفسه، والحضور الآسر نفسه...

- إذن، سيسعدك أن تعاشريه كزوجة، أليس كذلك؟ رجل عجوز بما يكفي ليكون جدك؟

كان ينبغي إنهاء النقاش عند هذا الحدّ، لكن مرلينا شعرت بغضب عارم ولم تشأ أن تدع جايك يربح أيّ جولة في هذه اللعبة: «ولِمَ لا؟ بايرون يجعل من كل ما يفعله متعة وهو يعرف ما تريده المرأة».

وفجأة، ضاقت عينا جايك، وتطاير الشرر منهما بشكل خطر فيما بدأ يتقدّم نحوها: «ولعلك لم تعرفي ما هو أفضل. أليس كذلك يا مرلينا؟ لطالما كنت فتاة إيطالية طيبة؟».

شبكت ذراعيها على صدرها فيما راحت ترتجف في داخلها. إن جايك يتقدّم منها وهو ينوي اختبار مدى خبرتها. أحست بأنها تتمزق بين الرغبة في اكتشاف شعورها إذا أخذها بين ذراعيه وبين كبريائها التي أصرت على أنها ستشبع غروره وحسب إذا ما سمحت له بلمسها.

ردّت بحدة: «الأمر لا يعنيك».

ارتسمت على وجهه ابتسامة حملت وعوداً: «أرى أن أجعل الأمر من شأني».

وبدأ ذهنها يعمل بشكل محموم وهو يقترب منها أكثر وأكثر. إنها ضعيفة جداً إزاءه بسبب انجذابها إليه. إذا ما لمسها، إذا ما عانقها...

- قف مكانك يا جايك دافيلا!

بدا صوتها مرتعشاً، دفاعياً، خائفاً.

توقّف على بعد خطوة منها، وهمس بصوت مغرٍ: «هيا يا ميل، أنت تعلمين أنّ هذا الشعور لطالما كان بيننا، إنه يثير بيننا».

- اسمي مرلينا.

تجاهل اعتراضها، وراحت عيناه تحدقان في عينيها، تطالبانها بالحقيقة: «كان الأمر مثيراً، أليس كذلك؟ طريقة تناوشنا وتشاحننا... الضربة والضربة المضادة. أنا أرمي التحدّي وأنت تواجهينه، وتنجزين المهمة المطلوبة...».

نعم، كان ذلك. لكن...

- أنت زير نساء يا جايك. وقد بلغت الثلاثين من عمري وأريد أن أتزوج.

- لماذا؟ من أجل الأمان؟ هذا ممل. ما تحتاجينه وما تريدينه هو...

- أريد إنشاء أسرة.

لم تكن ترغب أبداً في سماع الحاجات التي قد يلبّيها. على أيّ حال، أي علاقة مع جايك لن تكون سوى علاقة عابرة، مؤقتة، لن تعني له شيئاً. إذا ما استسلمت للإغراء فلن تصبح سوى رقم آخر في مفكرته.

ردّ بنبرة غير مصدّقة: «تريدين أن ترزقي بأطفال من جدي؟».

ناقشته بحرارة: «تشارلي شابلن رزق بأطفال وهو في الثمانين. وجينات بايرون عظيمة ليورثها. أنظر إلى نفسك».

- وماذا عني؟

- أنت ذكي، مبدع، وسيم. سأرزق بأطفال رائعين من بايرون.

ردّ على حجتها بسرعة: «ويمكنك أن ترزقي بأطفال رائعين مني».

كلامه أسكتها للحظة، لكنها عادت وتمالكت نفسها، قائلة: «لكنك لا تريدهم».

- من قال إني لا أريدهم؟

- وهل تريدهم؟

هذا التحدي المباشر أوقعه في الشرك: «لم أفكر في الأمر».

سخرت منه بفظاظة: «صحيح!».

- هذا لا يعني أني لا أستطيع أن أفكر في المسألة.

- وكم من الوقت سيتطلب التفكير؟

بدا أنه يتخبط فقررت أن تسدد الضربة القاضية: «أريد أن أنشىء عائلة في وقت قريب يا جايك. أنت زير نساء وستضيّع وقتي وحسب. لذا، اخرج من حياتي وابقى بعيداً عنها».

- لأتركك لجدي؟

وتبدل التعبير الذي ارتسم على وجهه بشكل عنيف. لقد ابتلع لحظة التردد بتصميم يفتقر إلى الصبر.

- لن أفعل ما دام في عروقي دم!

وتقدّم منها وشدّها إلى أحضانه فيما التمعت عيناه بتهور خطر: «من المستحيل أن تصبحي زوجته! فأنت لي يا مرلينا روسي! لي أنا!».

٧ - قد أتزوجها

كانت مرلينا من الذهول لنبرة التملك الصرف في صوت جايك وللتأثير المفاجىء لوجودها سجينة بين ذراعيه ملتصقة بجسده المفتول العضلات، بحيث لم تنطق بأيّ كلمة أو تقوم بأيّ تصرّف لتبعده عنها.

تفجّرت الأحاسيس في داخلها، ناسفة أيّ منطق في عقلها. متسببة بفوضى عارمة، جاعلة قلبها يعدو ورئتيها تصرخان مطالبتين بالهواء فيما انقبضت معدتها وارتجفت ساقيها. لقد فقدت السيطرة كلياً. جاهدت ذراعاها لتتحررا من سجنهما وارتفعتا لتلتفّا حول عنقه، مدفوعتين برغبتهما في الحفاظ على هذا الاتصال الحميم بينهما.

بادلته العناق رغبة منها في الإحساس بتوقه الشديد إليها وبسلطتها عليه. ووجدت متعة بالغة حين شعرت بدقات قلبه القوية، وبعضلاته المشدودة.

إنه يرغب فيها.

هذا الاكتشاف المسكر نسف أيّ تعقّل تبقى لديها.

لم يعد للوقت والمكان أيّ اعتبار.

- احم!... احم!

بدا التنحنح آتياً من مكان بعيد، صوتاً غريباً خرق ما ينبغي أن يكون لحظة حميمة، وسدد ضربة عنيفة إلى دفق المشاعر الرائعة. جاء ردّ فعل جايك أسرع من رد فعلها، فرفع رأسه والتفت نحو الدخيل فيما بقي ممسكاً بها وكأنه يحميها.

- اعذرني يا سيدي...

تسرّب صوت هارولد الجليل إلى شرنقة عالم مرلينا الداخلي وأزاح الغمامة عن دماغها. وفيما أدركت ما كانت تفعله، ووعت لوضعها وللرجل قربها، شعرت بصدر جايك ينتفخ وهو يتنفس ما جعل معدتها تتقلّص.

ماذا سيقول؟

كيف سيفتر ما حصل؟

أعلن هارولد بدم بارد: «السيد بايرون في المكتبة. وهو يتساءل إلى متى هذا... آه... هذا اللقاء على الانفراد سيدوم؟».

ردّ جايك بصوت أجش: «لن يطول الأمر يا هارولد».

ثم ابتلع ريقه بشدة وأضاف بنبرة أنعم: «أبلغ جدي أننا سنتضم إليه في المكتبة بعد لحظات».

سنتضم إليه؟

لماذا؟

بعد أن أساءت إلى موقفها من جايك عبر استسلامها لمشاعرها وتجاهلها المتهوّر للحقائق، حاولت مرلينا يائسة أن تستعيد رباطة جأشها وسلامة عقلها قبل أن تضطر لمواجهة الرجل الذي ما زال ينوي عدم التخلي عن سيطرته عليها. لم تتمكن من إيجاد القوة أو الإرادة اللازمة للابتعاد عنه. على أيّ حال، لا يمكنها بأيّ شكل من الأشكال أن تتصرف وكأنه أهانها وأساء إليها بتصرفه بحرية معها في حين أنها تجاوبت معه بشكل فاضح وواضح.

قال هارولد بصوت وقور: «حسناً يا سيدي».

وأشار صوت الباب وهو يغلق إلى أنه خرج.

تنفّس جايك بعمق أكثر من ذي قبل، ثم مرر أصابعه في شعرها بنعومة وهو يهمس باسمها: «مرلينا؟».

اسمها الحقيقي والكامل!

سماع اسمها يخرج من بين شفتيه بهذه النبرة المهتمة، الحنون، جعل

www.elromancia.com

قلبها يترنّح.

أرادته أن يقول المزيد، أن يعترف لها بأنه متأثر بقدر تأثرها بقوة المشاعر التي نسفت أيّ تفكير منطقي. إلاّ أن شدّه الرقيق لشعرها عنى أنه يريدها أن ترفع رأسها وتنظر إليه. أخذت نفساً عميقاً علّها تغذي دماغها بما يكفيه من الأوكسيجين كي يعمل بشكل صحيح، ثم نفّذت ما أراده بعد أن أدركت أن ما ستراه سيكون على الأرجح أصدق تعبيراً وأوضح مما قد تسمعه.

لم ترَ في عينيه أيّ أثر للتسلية، كما لم ترَ فيهما شرارات الانتصار. بدا وجهه جاداً للغاية فيما حدّقت عيناه في عينيها بقوة مغناطيسية جعلت الفرار منهما مستحيلاً. وأعلن بصراحة ووضوح: «أنا أرغب فيكِ وأنت ترغبين فيّ. لا يمكنك أن تتزوجي جدي».

لا داعي للجدل. على أيّ حال، لم تكن تنوي الزواج من بايرون. إلى أين ستصل الأمور بينها وبين جايك، لا تعلم. قد لا تصل إلى أيّ مكان. إلاّ أن ما حصل للتو جعل الاستمرار في تمثيلية الخطوبة أمراً مستحيلاً. لقد انتهت اللعبة، بغض النظر عن النتيجة النهائية.

تنهّدت: «أنت محق، لا يمكنني أن أتزوج جدك».

- جيد!

خرجت الكلمة مترافقة مع تنهيدة ارتياح ورضا ثم أردف: «يسرني أن نكون قد حللنا هذه المسألة».

تركيزه على قطع علاقتها ببايرون أزعجها. إنما، ألم يكن هذا هدف زيارته أصلاً؟ شقّت الحقيقة طريقها عبر التملك الآسر الذي دفعها للاستسلام لإرادته. جلّ ما أراده جايك هو أن يحررها من أيّ التزامات أخرى كي يتمكّن من التلاعب بها.

ردّت عليه مشددة على الكلمات: «لكني لن أعود إلى العمل معك».

وحملقت فيه بعينين تتحديانه أن يعتبرها ملكاً له.

قال لها منهياً النقاش: «ستتحدث في هذا الموضوع لاحقاً. أما الآن،

فعلينا أن نتوجه إلى المكتبة ونطلع جدي على الخبر. كلما أسرعنا في ذلك، كلما كان أفضل».

وشدّها إلى جانبه وسار بها إلى الباب قبل أن يتمكن عقل مرلينا من تحليل نواياه. وعندما فعل، جمدت في مكانها غير واثقة كيف ستسير الأمور في المكتبة. فبينها وبين بايرون تفاهم وخطة، وعليها أن تتحدث إليه على انفراد.

خرجت الكلمات من فمها بسرعة: «لا! لن تفعل هذا».

عبس جايك لمقاومتها المشاكسة: «أفعل ماذا؟».

- سأخبر بايرون بنفسي.

أصرّ وقد كره فكرة أن يبتعد عنها: «تحتاجين إلى دعم مني».

هل هو قلق من أن تغيّر رأيها؟

بدت زعزعة ثقته فكرة جيدة لمرلينا. فجايك دافيلا مولع للغاية بحل الأمور على طريقته. وهي ليست مستعدة أبداً لتركه يدير حياتها ويوجهها مجدداً، فقواعد علاقتهما تغيّرت بالنسبة إليها.

ناقشته: «إنه لتصرف جبان أن تعتمد على شخص آخر في إيصال رسالة ما، لاسيّما حين تكون الرسالة خاصة وشخصية للغاية. عليّ أن أخبره بنفسي، وكل ما ستفعله أنت هو زيادة الوضع سوءً».

- لكني جزء من هذا الوضع.

فقالت بقدر ما استطاعت من خبث: «فقط بقدر ما بيّنت لي أني لم أعطِ أهمية كافية لأحد العناصر في مخططاتي».

بدا مصدوماً: «أكنت تستخدميني كمقياس؟».

- ألم يكن هذا ما نويته أنت؟

- لا... نعم... لا...

وهزّ رأسه في ارتباك غاضب: «لقد فعلت ما أردت أن أفعله منذ وقت طويل».

والتمعت عيناه بثقة مطلقة قبل أن يردف: «ولا تقولي لي إنك لم تكوني

www.elromancia.com

راغبة في ما حصل أيضاً!».

- لقد أرضيت فضولي يا جايك. أشكرك على هذه التجربة. والآن، هلاّ عذرتني فبايرون ينتظر.

هذا النقاش شتت انتباهه فلم يمسك بها جيداً إلى جانبه. ابتعدت عنه وتوجهت نحو الباب قبل أن يتمالك نفسه ويعلن: «لا يمكنك أن تبقي هنا مرلينا. سيكون الأمر أشبه بصبّ الزيت على النار. سأنتظرك لأوصلك إلى المنزل بعد أن تنهي حديثك مع جدي».

لن يشعر بايرون بأنه مجروح، بل سيبتهج لأنه استطاع أن يدفع حفيده إلى اتخاذ خطوة فعلية. ولا بد أنه ينتظر بفارغ الصبر تقريرها عن نجاح مخططاته.

إلاّ أن التصميم في صوت جايك جعلها تتوقف. هل يريد فعلاً أن يكون معها أم أنّ المسألة برمتها مسألة ربح وخسارة؟ صحيح أن الخطوة الطبيعية التي تلي فسخ الخطوبة هي ترك منزل بايرون، إلا أن هذا لا علاقة له بالموضوع. أرادت أن تعرف إلى أي مدى يهتم جايك لأمرها.

التفتت إليه، وقلبها ينبض أملاً في أن ترى في وجهه ما يتعدى التصميم على أن تجري الأمور كما يريد.

وتابع كلامه، كرجل يتحمّل المسؤولية، متوقعاً منها أن تلتزم بما يقرره: «سأطلب من هارولد إرسال أحدهم لتوضيب حقائبك ووضعها في السيارة».

قالت هازئة بترتيباته، محاولة التحقق من حقيقة مشاعره: «يمكنني أن أستدعي سيارة أجرة».

- لا.

والتمعت عيناه استعداداً لمعركة، محذّراً إياها من أنه مستعد للقتال حيثما تريد: «ستأتين معي يا مرلينا».

تحدّته غريزياً أن يجعلها تطيعه، ورفعت رأسها بتمرد: «ولِمَ عليّ أن أفعل هذا؟».

رمقها بنظرة شاملة استحضرت بقوة ما جرى بينهما منذ قليل، ولمّعت عيناه على جسمها، ما جعلها تقشعر فيما سرت الحرارة في عروقها حين تذكرت كيف استسلمت له كلياً وغرقت معه في دوّامة من المشاعر.

ردّ بنبرة حريرية: «لأن ثمة مسائل عالقة بيننا».

ارتجفت مرلينا إذ أدركت أنها إذا تركته يعيدها إلى المنزل فسيطالبها بالمزيد. القرار قرارها الآن والخيار خيارها.

مسائل عالقة...

إن الحقيقة الرهيبة تكمن في هذه الكلمات. حقيقة ساحرة للغاية. إنها تريد هذا الرجل أكثر مما أرادت أيّ شيء آخر في العالم، والرغبة البدائية في الاستفادة مما يُعرض عليها قبل أن تنتقل إلى مرحلة أخرى من حياتها أطاحت بالمنطق الذي أشار عليها بأنها لن تكون سوى نزوة عابرة في حياة هذا الرجل اللعوب.

من جهة أخرى، بدا لها أنّ الطاعة والاستسلام لا يتماشيان مع شخصيتها! لتدع جايك يغتاظ في انتظار قرارها!

ردّت وكأنها غير مهتمة: «افعل ما يحلو لك. عليّ أن أذهب وأخبر بايرون أنني لا أستطيع أن أتزوجه».

راقبها جايك وهي تخرج، وبالكاد استطاع أن يسيطر على رغبة تملكته في اللحاق بها والإمساك بها وحملها على كتفه إلى سيارته. لم تنسل مرلينا روسي تحت جلده وحسب، بل تغلغلت في أعماقه وجرت مع الدماء في عروقه من دون أن تتنازل عن أي شيء أو تقدم له شيئاً، باستثناء أنها استسلمت له منذ دقائق.

وها هي الآن قد انسحبت إلى ساحة معركتها القديمة، مواجهة تحدّيه ورامية الكرة مجدداً في ملعبه. إلاّ أنه كسب شيئاً ما منها فقد أنهت هذا الارتباط الذي لا يُحتمل بجده. لقد فجّر ذاك الالتزام ومزّقه إرباً. من الجيد أن هارولد دخل عليهما وفاجأهما في الجرم المشهود، فهارولد شاهد

لا غبار عليه. وما من سبيل لأن تدّعي مرلينا أنها أُرغمت ولم تكن راغبة في ما حصل.

وهذا لا يعني أنها ستدّعي ذلك، فالصدق والاستقامة يسريان في عروقها.

فليس من طبعها ألاّ تعطي ما تفعله اهتماماً كاملاً، غير منقوص، سواء في العمل أو الزواج أو الخروج من قالب الحلوى. هذا الالتزام التام من جانبها جعل فكرة الخروج معها أكثر إثارة.

راح جايك يبحث عن هارولد ليجده في المطبخ يشرف على تحضيرات العشاء. طلب منه أن يكلّمه على انفراد وشرح له الحاجة إلى تسريع مغادرة الآنسة روسي لمنزل خطيبها السابق الليلة.

سأله هارولد مقطباً: «هل أنت واثق من أن هذه هي رغبة الآنسة روسي؟».

ردّ جايك على الفور، بعد أن رمق رئيس الخدم بنظرة رجل لرجل: «وعدتها بأن أنفذ ما طلبته. إنها مسألة حساسة كما ترى يا هارولد. الآنسة روسي في المكتبة حالياً لتفسخ خطوبتها مع جدي. وما إن تنتهي...».

– نعم، أفهم ما تقصده يا سيد جايك، لكن...

وهزّ رأسه قبل أن يضيف: «... لست واثقاً من أن السيد بايرون سيوافق على مثل هذا القرار المتسرّع».

فأكد جايك: «الحسم الفوري هو أفضل الحلول».

– أفترض أن الأغراض يمكن أن تعاد إلى أماكنها، إذا ما بدّلت الآنسة رأيها وفضّلت البقاء. كما أن توضيبها سيسرّع الأمور إذا ما قررت المغادرة...

وخطر لجايك الذي بدأ يفقد صبره أن الخيار الأخير هو ما سيحصل فعلاً. يبدو أن رئيس الخدم لم يعجبه أن يتلقى هذه الأوامر منه، رغم أنه يعلم أنها الأوامر المناسبة في مثل هذه الظروف.

وأخيراً قرر هارولد: «حسن. إذا ما فتحت السيارة يا سيد جايك فسأطلب نقل أمتعة الآنسة روسي إليها. يؤسفني أن أراها ترحل، فهي شابة لطيفة ومليئة بالحياة...».

قاطعه جايك الذي أراد أن يرى أفعالاً، لا أن يسمع كلاماً: «شابة لم تقصد أن ترتكب خطأ لكنها فعلت».

رفع الرجل العجوز حاجبه: «أتخيل أنه من السهل جداً على امرأة شابة أن ترتكب خطأ معك يا سيد جايك».

ردّ جايك بشيء من السخط: «الغلطة كانت مع جدي وليس معي».

قال رئيس الخدم الكلمة الأخيرة: «حسناً سيدي، المسألة مسألة رأي. والآن، إذا ما سمحت لي فسأذهب لأشرف على توضيب أمتعتها».

راح جايك يرغي ويزبد بسبب رأي هارولد فيما هو يتوجه نحو سيارته الفيراري ليفتحها. ما حصل بينهما في البهو لم يكن خطأ! إنه مولع جداً بجده وأمل ألاّ يشعر الرجل العجوز بالاستياء الشديد من تصرفاته الليلة. فكل الأفعال عادلة في الحب كما في الحرب، ولقد أنذره بأنه يعتبر مرلينا روسي امرأته وذلك منذ لقائها الأول بجده في حفل عيد الميلاد.

لو لم تكن مرلينا في مزاج سيء ومشاكس، ولو لم تظهر استقلالية مطلقة فيما ساندها جده لأنّ الأمر يناسبه، لما وصلت الأمور إلى هذا الحد. لأعادها بكل بساطة إلى حيث تنتمي. إليه... ولا شك في ذلك.

عليه الاعتراف بإمكانية أن تكون قد سلبت عقل جده بما أنه عرض عليها الزواج. لكن، من جهة أخرى، كيف يمكن أخذ أي من زيجاته على محمل الجدّ طالما أن أيّ منها لم يستمر لأكثر من بضع سنوات؟

وخطر في باله أن مرلينا قادرة على إنجاح علاقة الربيع مع الخريف، فهي امرأة عنيدة. كما أن جده بلغ الثمانين من عمره ولعله رأى في هذا الزواج زواج الشيخوخة، وقد يحزنه أن يسعى جايك إلى تقويض هذه العلاقة.

تمتم بعد أن أدرك أن تصرفه الليلة جعله في موقف حرج للغاية: «تباً،

تباً، تباً!».

من الأفضل أن يواجه نتائج تصرفاته الآن أيضاً. لن يرحل بعيداً مع مرلينا من دون أن يتحدّث إلى جده أولاً... عليه أن يكشف إلى أيّ مدى تعكرت المياه وأن يبذل قصارى جهده لئلا يزيد الطين بلة.

تنفس بعمق هواء الليل المنعش فيما هو ينتظر قرب سيارته الفيراري حتى تُنقل أمتعة مرلينا إلى صندوقها. لا بد أن حوائجها قليلة، إلاّ إذا بالغا جداً أثناء تسوقهما في دوبل باي. سيحشر كل ما لديها في السيارة، لئلا يترك لها أيّ حجة لتعود إلى هنا.

وعيّل صبره بحيث بدا له أن دهراً مرّ قبل أن يظهر حاجب جده، فنسنت الذي لا يقدّر بثمن، حاملاً معه حقيبة صغيرة وبضعة أكياس.

سأله جايك وهو يتحرك بسرعة ليفتح صندوق السيارة: «أهذا كل شيء؟».

فردّ فنسنت بغطرسة: «طبعاً يا سيدي. فأنا لا أفقد شيئاً».

قال له جايك وقد فقد أعصابه من هذا الوضع: «حسناً، ستفقد الآنسة روسي قريباً جداً».

علّق جايك وهو يضع الحقائب ثم يتراجع ليرمق جايك بنظرة توبيخ واستنكار: «هذا مؤسف للغاية، فالسيد بايرون بدا سعيداً جداً منذ وصول الآنسة روسي».

ردّ جايك بحدة، ثائراً على عقدة الذنب التي بدأت تتشكل في داخله، وهو الذي لم يعتد أن يشعر بالذنب حيال أي شيء: «لم يمضِ عليها سوى ثلاثة أيام هنا!».

- كل يوم من السعادة يعتبر يوماً ثميناً في مثل سن السيد بايرون. أنت أصغر من أن تقدّر هذا يا سيدي.

وما إن أنهى فنسنت كلامه حتى استدار على عقبيه وعاد إلى المنزل.

أغلق جايك غطاء الصندوق ثم أقفل السيارة وعاد بدوره إلى المنزل. لقد حظيت مرلينا بالوقت الكافي لتنقل الخبر إلى جده، وبدأ بقاؤها في

المكتبة هذه المدة كلها يثير أسئلة مزعجة في ذهنه. عليه أن ينضم إليهما وأن يصحح الوضع، ويحرص على أن ترافقه الليلة.

ودفعه شعور قوي إلى الدخول إلى المكتبة من دون أن يطرق الباب، فوجد جده مستنداً إلى مكتبه المصنوع من خشب الماهوغاني، وقد بدا مسترخياً ومسيطراً على الوضع. أما مرلينا فجلست في كرسي من الجلد، وقد بدت بدورها مرتاحة. غياب التوتر من الأجواء لفت انتباه جايك على الفور. فما من أثر لأيّ ألم أو أسى، بل بدا وكأنهما يستمتعان وحسب بتبادل الأحاديث.

سأل: «ماذا يجري؟».

نبرته الحادة جعلت جده يرفع حاجبيه استهجاناً: «يمكنني أن أطرح السؤال نفسه عليك يا جايك؟ جئت إلى هنا مدّعياً أنك تحتاج إلى مساعدة في العمل...».

- إني أفتقد مرلينا في العمل.

ارتسمت ابتسامة صغيرة ساخرة على وجه الجد قبل أن يجيب: «لا شك في ذلك. لكن، هل يبرر هذا استخدامك لسحرك كله لتسلبها مني؟».

شعر جايك بموجة حرارة ناتجة عن شعوره بالذنب تكتسحه: «أنا آسف، لكن ينبغي ألاّ تتزوجك يا جدي».

والتفت إلى مرلينا ليسألها: «ألم تقولي له هذا؟».

ردّت ساخرة، وهي تحرك يدها اليسرى ليرى الماسة الكبيرة تلتمع: «نعم، فعلت. عرضت على بايرون أن أعيد له خاتمه...».

ما زالت تضع خاتمه!

وتابع جده كلامها: «أقنعت مرلينا بأن تحتفظ به».

قال جايك بصوت هادر، وقد تعاظم الإرباك والإحباط في داخله بحيث أطاحا بأيّ شعور بالذنب: «لماذا؟».

- لقد عشت يا فتى طويلاً بحيث أصبحت خبيراً بهذه الأمور

الصغيرة. إنها مجرد نزوة إذا صحّ التعبير. إلى ما ستتحول؟ وكم ستدوم؟ ثلاثة أشهر كحد أقصى؟ ما رأيك يا مرلينا؟

تنهدت مرلينا وردت: «ربما ثلاثة أشهر يا بايرون».

ردّ جايك: «وماذا لو دامت أكثر».

فقال جده على الفور: «يمكنني أن أنتظر. عندما تنتهي علاقتكما وتشعر بالحزن والأسف، سيسعدني أن أروّح عنها وأرفع معنوياتها».

حذّره جايك: «لا تعتمد على انتهاء علاقتنا بسرعة».

ودفعه الشعور العنيف الذي تملّكه من قبل والذي عاد يكتسحه مجدداً إلى أن يردف: «وقد أتزوج أنا مرلينا».

كلامه هذا هزّ ثقة جده بنفسه: «أنت لا تعني ما قلته».

وسألته مرلينا وقد تملكتها الدهشة: «وتتخلى عن حياة العزوبية والمرح؟».

ردّ جايك، متراجعاً بشكل غريزي عن هذا الالتزام التام: «سنتحدث في الموضوع عندما نصل إليه».

وتوجّه إلى جده، راغباً في إنهاء هذه المواجهة التي ضايقته: «أنا آسف لأني ضايقتك لكن ما كان لك أن تستعجل الأمور. كنت على علاقة بمرلينا قبل أن تلتقيها ولست مستعداً للتخلي عن هذه العلاقة».

وجاءت الحجة المعاكسة سريعاً: «يبدو لي أنك لم تكن تقدّرها حق قدرها. لا تنسي يا مرلينا إني سأقدّرك كما تستحقين».

قال له جايك بضيق: «توقّف عن التدخل في هذه المسألة يا جدي! مرلينا، أصبحت أغراضك كلها في سيارتي، فهيا بنا. لم يعد هناك ما يقال».

لم يجادله أحد، ما جعله يشعر بالارتياح. أطاعته ووقفت، لكن كان عليه أن يحتمل رؤيتها تتوجه نحو جده لتطبع قبلة على خدّه وتقول بحنان: «أشكرك على كل شيء يا بايرون. أنت لطيف جداً».

وجاء الرد الكريم: «هذا من دواعي سروري يا عزيزتي. اعتني

بنفسك. فحفيدي ما زال يحتاج لوقت طويل كي ينضج».

صرف جايك بأسنانه، لن يبقى ويناقش هذه النقطة الآن، فهدفه الأول هو الرحيل برفقة مرلينا والقضاء على أيّ فرصة كي تعيد التفكير في الزواج من جده الذي لا يزال قادراً على سحر الطيور في أعشاشها.

وأخيراً، التفت ذراعها حول ذراعه في طريقهما إلى سيارته. ها هي ترافقه بملء إرادتها، لكن خاتم الخطوبة لا يزال يلمع في إصبعها وكأنه يتحداه. وأقسم في سرّه على ألاّ يطول الأمر، فسيجعلها تخلعه.

بعدئذ، سيحرص على ألا ترغب يوماً في وضع هذا الخاتم مجدداً!

www.elromancia.com

٨ - نور حياتي

قد أتزوجها أنا نفسي...

قالها... قالها فعلاً. أتى على ذكر الزواج. حاولت مرلينا أن تذكّر نفسها بأن هذا الإعلان المذهل جاء تحت تأثير الاستفزاز، إلا أن إمكانية أن يعني جايك ما قاله أصابتها بدوار ومنعت عقلها من التفكير بشكل سليم. لا يمكن أن يقول هذا ليجعلها وحسب تعود للعمل معه، ولن يقول هذا ليتصر على جده فقط. ففي هذا مبالغة شديدة.

راح رأسها يدور وأحشاؤها ترتجف لقربها من جايك فيما هما يتوجهان إلى السيارة. ولم تستطع مرلينا منع نفسها من الارتعاش للعزم القوي في كل خطوة يخطوها، ولتصميمه على جرّها معه. أراد أن يرتبط بها. أراد أن تتحول علاقتهما إلى علاقة حميمة. وهي التي لم يمضِ سوى ثلاثة أيام على تخلّيها عن جايك وعن عالمه.

هل كانت على صواب حين قررت أن تجاري بايرون في لعبته؟

من جهة، كانت المسألة برمتها خدعة لدفع جايك نحو درب ما كان ليسلكها عادة، وما زالت مستمرة في خداعها له باحتفاظها بخاتم بايرون. لكن، لو لم تفعل هذا، فهل كانت لتحظى بفرصة لتتقرّب إلى هذا الحد من جايك دافيلا؟ هل كانت لتحظى بفرصة لتتزوجه؟ لكن، ومن جهة أخرى، هل سيكون زوجاً صالحاً؟ هل سيكون أباً صالحاً؟ كيف يمكن أن تؤمن بذلك؟

ها هو يساعدها الآن على الصعود إلى سيارته الفيراري الحمراء. هذا النوع من السيارات الرياضية الملفتة لا يشير إلى رجل لديه النية أو الرغبة

في تأسيس أسرة، بل على العكس من ذلك. لعل التفكير في الزواج منه جنون صرف. إنّ المعروض عليها حالياً هو مجرد علاقة عابرة، وشعرت بتوتر شديد، فقد عرف الكثير من النساء من قبلها، ولا بد أن يقارنها بهن.

أغلق باب السيارة واستدار حولها ليحتل مقعد السائق. قامته ورجولته جعلتاها ترتعش في أعماقها. لطالما حلمت بقربه، ولطالما تمنت أن يأخذها بين ذراعيه ليضيعا معاً في عالم من الأحاسيس المسكرة. لكن الآن ومع اقتراب ساعة الحقيقة، وجدت نفسها خائفة مما ينتظرها.

جلس جايك إلى جانبها وأغلق بابه، مالئاً السيارة بحضوره الطاغي. أدار المحرك القوي وانطلقا تجمعهما علاقة جديدة لم يعرفاها من قبل. كانت البوابات في آخر الطريق الداخلية مفتوحة لكنه اضطر إلى تخفيف سرعة السيارة. ومد يده ليمسك بيدها، حيث التفت أصابعه حول أصابعها في حركة تملّك.

سألها بنبرة لطيفة فاجأتها: «هل أنت بخير يا مرلينا؟».

وتأملت عيناه الداكنتان عينيها بحثاً عن إشارة تنبئه بأنها معه قلباً وقالباً.

ردّت وهي ترتعش: «لست أدري. فالرحيل معك أشبه بخطوة مستعجلة نحو المجهول».

اعتصر يدها مطمئناً: «لا تقلقي. دعي الأمور تأخذ مجراها».

- ألا تفكر أبداً في ما تفعله يا جايك؟

- لست مضطراً للتفكير في هذا. فهو موجود بيننا وصحيح وأنت تعلمين هذا.

عكست عيناه اقتناعاً تاماً. وبعد أن اطمأن إلى أنه أوضح هذه النقطة، أبعد يده ليبدّل السرعة وعاد بنظره إلى الطريق التي سيسلكانها.

همست: «لم يكن صحيحاً حتى خرجت شقراء من قالب الحلوى».

وتذكرت... فأردفت تسأله: «ماذا حصل مع فانيسا هال؟ كنت على

علاقة بها».

- افترقنا أنا وفانيسا نهار السبت.

- بسببي؟

- نعم، بسببك.

ورمقها بنظرة حارقة مضيفاً: «اعلمي أن فانيسا لم تكن سوى إحدى علاقاتي الاجتماعية».

فعلّقت بشيء من المرارة: «وأنا كنت مجرد علاقة عمل».

أنكر بقوة: «لا، لم تكوني يوماً مجرد علاقة عمل».

تحدّته إذ ما زالت بحاجة لاكتشاف مشاعره نحوها: «ماذا كنت حينها؟».

- كنت النور في حياتي. ما رأيك؟

وابتسم لها ابتسامة ساحرة بعد أن عاد يلعب دور زير النساء قبل أن يردف: «ولن أدع هذا النور يضيء حياة شخص آخر سواي».

هل هذا مجرد سحر أم أنه يعني ما يقول؟

- ومن أصبحت نور حياتك؟

طرحت سؤالها هذا ثم أضافت ساخرة: «فجأة؟ بعد ظهر يوم السبت؟».

وتحوّلت الابتسامة إلى تكشيرة بعد أن أحسنت تفسير الوضع.

- هذه ليست نزوة عابرة يا مرلينا. فالانجذاب المتبادل ظهر منذ لقائنا الأول، يوم أجريت معك مقابلة من أجل العمل، وتعزز هذا الشعور في أول يوم عمل لك ليستمر بعدئذ في التعاظم. لكنك خنقت هذه المشاعر...

والتفتت عيناه الداكنتان إليها، سائلاً: «لمَ فعلت هذا؟».

هزت كتفيها وقد شعرت بأنها قادرة على مواجهة مثل هذا الحوار. الصمت يزيد الشكوك والمخاوف، فردّت بصراحة: «سئمت من كوني اللعبة التي تلهو وتتسلى بها».

- ... لطالما انتظرت اللحظة التي تستسلمين فيها وتعلنين تمرّدك على الوضع.

كلامه دفعها إلى أن تقول: «أحقاً؟ ظننت أنك كنت تتوقع مني أن أكون نشيطة ومتحمسة طالما رغبت في ذلك».

- لا، كنت أختبر وحسب مدى صبرك. ظننت أنّ فكرة قالب الحلوى ستجعلك تفقدين صوابك. في الواقع كنت أنتظر المواجهة بفارغ الصبر، لكنك صبرت وجعلتني أدفع الثمن على طريقتك... وهنا أود أن أشير إلى أنه تكتيك أثار إعجابي لجرأته، إلى حين تدخّل جدي واستبعدني عن اللعبة.

ذكّرته بخبث، متذكرة كم من مرة أغاظها بنسائه: «لم تكن في اللعبة يا جايك. كنت مع فانيسا هال».

أعجبها أن يسميها نور حياته. لكن ما هما؟ شمعتان مشتعلتان بشكل مؤقت؟

علّق متهكماً: «صدقيني. لقد أدركت فانيسا مدى تورطي في هذه اللعبة قبل انتهاء حفل يوم السبت».

قالت مرلينا بوقاحة، وقد أثار سخطها واستياءها موقفه ذو الوجهين: «ماذا؟ كان عليك أن تفقدني لتكتشف أنك تريدني؟».

- قلت لك، ما بيننا لطالما كان موجوداً. لكنك كنت كفوءة جداً في عملك بحيث لم أشأ أن أعقّد الوضع.

- حسناً! كان لا بأس إذن في أن تبقيني معلّقة لأخدم مصالحك. ولم تأخذ مشاعري بعين الاعتبار.

وعلى الفور تشتت انتباهه عن الطريق ليركّز عليها: «وما كان شعورك حيال هذا الأمر؟».

لم تنبس مرلينا ببنت شفة، فهذه الكلمات الخائنة خرجت سهواً من بين شفتيها. إنها تعرف جايك دافيلا جيداً بحيث لا تسلّمه أسرارها، إذ سيستفيد منها إلى أقصى حدّ. يجب أن تخفي هوسها به جيداً وتحاول إيجاد

الشجاعة اللازمة.

أجابته: «لا أحب أن يتلاعب بي أحد، ولا أعلم ما الذي أفعله هنا معك. كان عليّ أن أبقى مع بايرون».

- لا!

- ستتلاعب بي وحسب يا جايك، إنما على مستوى آخر.

فقال بجدية مفاجئة: «توقفت المسألة عن كونها لعبة منذ رميّت القفاز يا مرلينا».

- ما هي إذن؟ ألا يتعلق الأمر كله بأن تربح ما تريد؟

- لا، بل المسألة مسألة أن تتشارك شيئاً مميزاً.

والتقت عيناه بعينيها في نظرة تحدٍ لامعة، قبل أن يضيف: «شيء لن يختبره أيّ منا مع أيّ شخص آخر».

حبست أنفاسها لتخفف قبضة الألم التي اعتصرت قلبها. فهذا هو جلّ ما يخيفها، ألاّ تجد شخصاً آخر يمكنه أن يلمس الأوتار التي لمسها جايك في داخلها... لمسها وأثار فيها الاضطراب ودوزنها على نغمته الخاصة. وحذّرتها غريزتها من أنه سيسيطر على مشاعرها أكثر إذا ما أقامت علاقة معه. لكن، إذا ما ابتعدت عنه... فلعلها ستفقد التجربة الأكثر تميّزاً في حياتها.

قالت في تنهيدة شك: «لست واثقة من أنّ المسألة مميزة بالنسبة إليك يا جايك. لعلك تظن أنك قادر على إغرائي بحيث أعود للعمل معك».

لم يجبها بل التزم الصمت. وهذا يعني بالنسبة إلى مرلينا أنها أصابت الهدف. إلا أنه أربكها كلياً عندما أجاب:

- الإغراء ليس ساحتي، فأنا لم أخرج سوى مع نساء راغبات. وآمل أن تختاري العودة إلى العمل كشريكة لي لأننا فريق رائع. أظن أن ما من شخص آخر قادر على ملء الفراغ الذي خلّفته يا مرلينا.

هذه الكلمات الساخرة قضت كلياً على السخرية التي تحصّنت خلفها وسعت جاهدة للحفاظ عليها. أرادت أن تكون شريكته... شريكته على

كافة المستويات. إنهما يشكّلان فريقاً رائعاً. وكانت على ثقة تامة من أن أحداً لن يتمكن من الحلول محله أيضاً.

واعتصرت قلبها الحاجة إلى البقاء معه، فأغمضت عينيها متمنية لو تنسى كل ما حولها وتترك الأمور تسير على هواها.

إنّ خيارات الإنسان تحدد مصيره، لكن كم عدد الخيارات التي تحكمها الأهواء والعواطف؟ هل اختارت فعلاً أن تعمل بجهد لتؤسس لنفسها حياة مهنية ناجحة، أم أن المسألة لم تكن سوى ثورة على القيود التي فرضها والدها والتي يقتضيها العيش على الطريقة الإيطالية؟ هل اختارت أن تقص شعرها وتبدل مظهرها لتنال الوظيفة في شركة جايك أم أنّ دافعها كان لفت انتباه جايك دافيلا كما ترغب المرأة في لفت نظر الرجل؟

أما لعبة النيل من جايك التي جارت فيها بايرون فقد دفعتها إليها رغبة قاهرة في الانتقام، رغبة تغلّبت على المنطق لديها. الثأر والأمل... خليط من الفوضى، وليس وصفة لمستقبل ناجح.

وجاءت استقالتها من العمل كمحاولة للسيطرة على حياتها ولوضع خطط لمستقبلها، لكن حتى هذه الخطوة لم تكن سوى رد فعل على ظروف لا تحتمل. وما فعله جايك الليلة يحرمها مجدداً من القدرة على التخطيط لحياتها بنفسها. وبدأ رأسها يؤلمها من الضغط الناتج عن محاولة اختيار الدرب الصحيح. لكن قلبها استمر في بث رسالته الخاصة... دعي ما هو مقدّر لك يحدث.

كان جايك واعياً بشدة لصمتها. هل قال ما فيه الكفاية ليكسر الحواجز التي كانت تحاول رفعها بينهما؟ لم تكن ميل... مرلينا... تناقشه، وهي التي نادراً ما تفقد قدرتها على الكلام إذا ما رغبت في إثبات وجهة نظرها. عليه أن يتوقّف عن التفكير فيها باسم ميل. إذا ما ناداها سهواً بهذا الاسم مرة ثانية، فستطرده على الأرجح من حياتها.

نظرة سريعة إليها أعلمته أنها أغمضت عينيها، وانسحبت إلى عالمها

الخاص، مقصية إياه. إنها إشارة تنذر بالسوء. لعل عقلها يعمل ضد مصلحته، لعلها تفكر في فانيسا وفي النساء الأخريات اللواتي مررن في حياته منذ أصبحت مساعدته الخاصة. لا يمكنه أن يلومها إذا لم تصدق أنها تحتل مكانة خاصة وفريدة في عقله. لكنها تحتل هذه المكانة فعلاً. أراد وحسب أن يبقيها بعيدة عن مسرح الحفل... وأن يحتفظ بها لنفسه في العمل.

ما من خيار الآن.

عليه أن يبذل قصارى جهده لئلا يفقدها.

كانا يعبران جسر المرفأ، بحيث لم يعد يفصلهما عن شقتها في شاتسوود سوى خمس عشرة دقيقة. وهو يعرف عنوانها لأنه أوصلها مرات عدة حين كانت لقاءات العمل تستمر لوقت متأخر من الليل. لم تدعه يوماً للدخول، ولم يضغط عليها يوماً ليدخل، لعلمه بمدى خطورة تواجده في مثل هذا المكان.

إلاّ أن هذه المسألة لم تعد مهمة بعد اليوم. فجسده كله يدفعه لأخذها بين ذراعيه مجدداً، مؤججاً نار الهوى التي استعرت بينهما. مجرد معانقتها أثارته إلى أقصى حدّ، ولا بدّ أن مشاعرها تحاكي مشاعره بحيث لم تستطع أن تتجاهلها. في الواقع، لا يمكن لعاقل أن يتجاهل مثل هذه المشاعر.

وأجبرته الإشارة الضوئية الحمراء على التوقّف عند المنعطف، ما منحه الوقت الكافي ليلقي عليها أكثر من نظرة. بدت جامدة وكأنها تشدّ نفسها بقوة. ما زالت عيناها مغمضتين، وقد ارتسم على وجهها تعبير حزين، مهزوم. شعر بأنها ألقت سلاحها ولم تعد ترغب في مواجهته إلاّ أنها لم تكن سعيدة بذلك.

أراد أن ينحني نحوها ويضمها بين ذراعيه، ليبعث فيها الحياة مجدداً. لكن السيارة التي توقفت خلفه أطلقت نفيراً يدلّ على نفاد الصبر ويعلمه أنّ السير بدأ بالتحرك. عاد جايك بانتباهه إلى الطريق، وتحرك بسيارته

معاهداً نفسه بأن يقنع مرلينا بصحة ما يفعلانه عند انتهاء رحلتهما إلى شاتسوود.

* * *

توقفت السيارة وانطفأ المحرك. وخطر لمرلينا أن وقت الجد حان، وما من مفرّ من المواجهة الآن. وبتنهيدة استسلام، فتحت عينيها فرأت أنهما توقفا أمام شقتها مباشرة. لقد أعادها جايك إلى المنزل كما وعدها.

كان المبنى قديماً، مؤلفاً من أربع شقق. وكانت تعيش في الجهة اليسرى من الطابق الأرضي، حيث لشقتها مدخل خاص عبر شرفة أمامية تغمرها الشمس في الشتاء. وباستثناء هذه الميزة الخاصة، كانت شقتها عادية جداً، وتتألف من غرفة جلوس تفصلها عن المطبخ فسحة لتناول الطعام، وحمام وغرفتي نوم في الخلف.

لم يدخل جايك شقتها يوماً، كما لم تزر هي بيته في ميلسون بوينت حيث مرّ العديد من النساء من دون شك. وترافقت هذه الفكرة مع ارتعاشة اشمئزاز صغيرة، فأقسمت في سرّها على ألاّ تخطو أيّ خطوة في ذاك المنزل.

وتراقص قلبها جذلاً عندما ترجل جايك من السيارة وتوجّه نحوها. في أيّ لحظة الآن، ستنزل بدورها لتقف إلى جانبه؛ لكن ما الذي سيحصل لاحقاً؟ وفتح الباب. شعرت مرلينا للحظة بشلل أقعدها عن الحراك.

قال: «لقد وصلنا».

فأجبرت نفسها على أن تقول: «هذا صحيح!».

وتمكنت بطريقة ما من أن تحرك قدميها وتخرجهما من السيارة.

أمسك جايك بيدها، يساعدها على الوقوف من المقعد المنخفض، ما أدناها منه كثيراً. وعندما أمسك بيدها الأخرى وأدارها لتواجهه، تأثر كل عصب في جسدها وكأن تياراً كهربائياً قد صعقها. هل سيعانقها؟ رفعت وجهها إليه في اضطراب لا حول فيه ولا قوة. ولدقائق مشحونة،

بحثت عيناه في عينيها، فأسرتها الطاقة المنبعثة منه أكثر من يديه. ما الذي يبحث عنه؟ ما الذي يريد العثور عليه؟

لم يعانقها.

قال بصوت أجش: «اذهبي وافتحي الباب. سأخرج حاجياتك من الصندوق وأحملهما إليك».

وترك يديها، وابتعد عنها. وبعد أن عادت مرلينا حرّة، استجمعت قواها وتوجهت نحو الباب الأمامي. وخطر لها أنها عادت لعبته مجدداً، تعمل بحسب أوامره. ولم تدرك أنها لا تحمل حقيبة يدها حتى وصلت إلى الشرفة. لا بد أنها في صندوق السيارة أيضاً. وبدلاً من أن تعود أدراجها، سحبت مفتاح الطوارىء من العلبة الصغيرة المخبأة خلف أصيص الورد الزهرية اللون، وفتحت به الباب قبل أن تعيده إلى مخبئه.

سمعت صوت صندوق السيارة يغلق بقوة، ما يعني أن جايك في طريقه إلى هنا. دخلت إلى غرفة الجلوس وتركت الباب مفتوحاً ليدخل أكياس ملابسها، بما فيها لباس البحر الذي ارتدته يوم عيد الميلاد والذي صمم بمكر متعمّد. هذا الخروج المدوّي لم يكن فكرة جيدة على الأرجح. إنه قرار آخر أملته عليها عواطفها وانفعالاتها.

كانت الشقة مرتبة كما تركتها صباح يوم السبت. ما من ورود حمراء في الزهرية، إذ لم يرسل لها جايك أيّ ورود في عيد العشاق. وهو لم يأتِ أبداً على ذكر الحب. اكتفى بالحديث عن... مسائل عالقة!

ما إن دخل حتى سأل: «أين تريدينني أن أضع هذه؟».

لم تستطع أن تشير إلى غرفة نومها، فاكتفت بالقول: «ضعها على الأرض وحسب. شكراً لك يا جايك».

صفق الباب ليقفله قبل أن يضع ما يحمله أرضاً. ولم تكن مرلينا بحاجة لذكاء خارق لتدرك أنه لا ينوي المغادرة. فبعد أن وضع الأكياس كما طلبت، استقام ليهيمن حضوره كما لم يفعل من قبل، وهو ضمن جدران منزلها.

الجو المشحون بالتوتر بينهما جعلها تلتزم الصمت. كل ما فعلته هو التحديق فيه... في هذا الرجل الذي تاقت إليه طويلاً. أرادته أن يحبها حباً رائعاً بحيث لا يرغب قط في امرأة أخرى. ودّت لو يشكّلا فريقاً مدى الحياة، وليس في العمل وحده. لقد جاء على ذكر الزواج...

سألها وقد قطّب قلقاً: «هل أنت خائفة مني؟».

ورفع يديه، فاتحاً راحتيه في إشارة إلى أنه لا ينوي إيذاءها.

- لأن...

خرج الصوت من حنجرتها أجش، فابتلعت ريقها بقوة لتضيف: «لأن...».

وتوقفت عن الكلام مجدداً، فيما ازدحمت الأفكار والأسباب في رأسها. إلاّ أن التعبير عن هذه الأفكار بالكلام سيكون أشبه باستعطافه ليعطي أكثر مما هو مستعد لإعطائه، ما سيتركها عاجزة تماماً.

قال وعيناه تطالبان بالحقيقة رغم أن نبرة صوته بقيت لطيفة ومراعية: «لم تجيبيني بعد. هل أنت خائفة مني؟».

- لا. ولكن... هذا التصرف ليس عاقلاً.

وتبادرت إلى ذهنها فجأة كافة الأمور التي ستخطر لأي امرأة عاقلة في مثل هذا الوضع.

ابتسم لها يطمئنها: «تناسي العقل والتعقّل ولو لمرة».

وتقدّم منها وقد استعاد ثقته الطبيعية فيما وقفت مكانها جامدة كالبلهاء، تاركة إياه يأتي إليها.

وضع إحدى ذراعيه حول خصرها فيما رفع الأخرى إلى وجهها. مرّت أصابعه على خدها بنعومة ورقة. واكتفت مرلينا مجدداً بالتحديق فيه. كانت عيناه تعدانها بمباهج لم تعرفها من قبل، فلم تعد تتساءل إن كان عليها أن تستسلم لعواطفها أم تقاومها.

٩ - امرأة مميزة

موجة الاهتمام التي شعر بها جايك كانت جديدة بالنسبة إليه. فالضعف الذي بدا في عيني مرلينا عكس مدى براءتها، ما يعني أن هذه التجربة جديدة بالنسبة إليها.

شعر بها ترتعش، ولم يرَ أيّ أثر للشرر في عينيها، بل تحوّلت العينان البنيتان إلى بحيرتين من الشوكولا الأسود... عينان كبيرتان تسبحان في بحر من العواطف المتلاطمة التي لامست قلبه، وتطرحان بصمت الكثير من الأسئلة التي أدركت أنّ عليها الإجابة عنها.

رفعت يديها إلى صدره لكنها لم تدفعه بعيداً بل تركتهما ترتاحان هناك.

أراد أن يكتشف كل وجه من أوجه مرلينا روسي، أن يعرفها على حقيقتها، إلى مدى أبعد مما أظهرت له في العمل. اكتشفت أنامله نعومة بشرتها الحريرية وهي تمر على خدها لتتغلغل في شعرها الكثيف واللامع، الأشبه بنهر من الحرير، على خلاف نوعية الشعر الأشقر المصبوغ.

ما الذي كان يلفت انتباهه في الشقراوات؟ لعل الأمر يتعلق بسلوكهن المغري الذي يظهر رغبتهن في لفت أنظار الرجال وإثارتهم. أما مرلينا... فصرخت «هذه أنا» عندما اتهمها باختيار صورة مختلفة عن تلك التي أصرّ عليها لتعمل كمساعدة شخصية له. لو لم يطالبها بإجراء تغيير، لبقي شعرها طويلاً ومغرياً!

قال بنبرة ندم: «ما كان عليّ أن أطلب منك أن تقصّي شعرك».

أسندت رأسها إلى كفه، وقالت بصوت أجش: «لا يهم. يمكنني أن

أتركه يطول مجدداً».

حافظي على شخصيتك... بعيداً عنه.

دفعتها هذه الفكرة التي لا تحتمل إلى الاقتراب منه أكثر. ضمها إليه وقد أسرته أنوثتها الفائقة.

لاحظ الابتسامة التي ارتسمت على وجهها فسألها: «يبدو أنك تحبين أن تتمتعي بهذا النوع من السلطة عليّ، أليس كذلك؟».

وتملكها شيء من التهور، وشعرت فجأة وكأنها تحررت من كافة القيود التي لطالما شلّت حركتها، فرفعت رأسها واتسعت ابتسامتها أكثر قبل أن تجيب: «نعم».

ضحك وكأنّه أحبّ نزاهتها وصدقها فيما التمعت عيناه بمكر.

إنه رجلها.

ومن ثم ماذا؟

توقّفي عن التفكير في هذا.

- مرلينا؟

صوته أعادها إلى أرض الواقع. الأمر ليس لعبة بالنسبة إليها على الأقل.

- لا تخافي مني.

بدا صوته ناعماً، جدياً، يضرب على وتر الحقيقة. وقبل أن تجد الشجاعة الكافية لتجيب، وأن تطرد فكرة الخوف، تحرّك واضعاً ذراعيه حول خصرها ليدنيها منه أكثر، في عناق حميم جعلها تشعر وكأنها وصلت إلى نقطة اللاعودة.

أراح جبينه على جبينها وهمس: «ستسير الأمور على ما يرام. أعدك بذلك».

الاهتمام الذي ظهر في صوته أرسل موجة من الدفء إلى قلبها المعذّب. فلفت ذراعيها حول عنقه ودنت منه لتلتصق به أكثر.

راح يتأملها وكأنه يراها للمرة الأولى... امرأة رائعة، مغرية، امرأة

متفجرة الأنوثة.

غمغم وهو يهزّ رأسه للخطأ الذي ارتكبه في حكمه على الأمور: «مجنون... غبي... لِمَ لم أرَ ذلك؟».

تملكها الذعر، وخرجت الكلمات متعثرة من فمها تدفعها الحاجة إلى معرفة ما يمر في ذهنه من أفكار: «عما تتحدث؟».

- كنت مخطئاً جداً. الشعر الطويل يناسبك تماماً. كان ينبغي أن تتركيه ليسترسل كالشلال على كتفيك. سامحيني لأنني تصرّفت بغباء وغطرسة.

واكتسحتها موجة من الارتياح.

كلامه هذا جعله يبدو أقرب إلى البشر، أكثر إنسانية.

قالت آملة أن تبدو متميّزة عن سواها من النساء اللواتي عرفهن: «لا عليك يا جايك. لم يكن الذنب ذنبك».

أرادت بشدة أن تكون المرأة المميزة... المرأة المحبوبة... المرأة التي قد يتزوجها.

بحثت عيناه في عينيها بقوة وعمق، مغذّية الأمل، جاعلة إياه يتعاظم في ذهنها. همس بصوت مثقل بالانفعالات التي لم تعبّر عنها لكنها عكست أكثر من مجرد نزوة بالنسبة إليها: «من هي هذه المرأة التي أراها الآن؟ ما الذي أخفيته عني أيضاً يا مرلينا؟».

تدفقت السعادة في داخلها أشبه بنبع متفجّر. فرفعت يدها وتغلغلت في تموّجات شعره الكثيف، وودت لو تلامس عقله أيضاً وتؤثر فيه بعمق.

- لم أخفِ شيئاً لم يكن موجوداً لتعثر عليه إذا ما كنت فعلاً مهتماً بالبحث.

وأضافت بنعومة وهي تنظر إليه بعينين مفتوحتين، فاتحة له نافذة إلى روحها: «لقد وضعت الصورة التي أردتها بيننا، يا جايك».

فأعلن بثقة: «لا أريد هذه الصورة مجدداً، بل أريدك أنت على حقيقتك وطبيعتك».

هل لاحظ السعادة تتفجر كبركان في داخلها... سعادة لم تستطع أن تحتويها؟

قالت ببساطة: «ها أنا ذا!».

وارتسمت على وجهه ابتسامة سرور فيما التمعت عيناه فجأة للخطط التي وضعها، ثم قال باستمتاع وتلذذ: «نعم، أنت معي، فلنستفد من الوقت إلى أقصى حدّ».

دنا منها أكثر وأخذها بين ذراعيه في عناق أفقدها صوابها. تجاوبت معه من دون تردد وبادلته العناق، آملة أن تجعله يشعر بأنها مميزة وفريدة من نوعها. أرادته أن يكتشف المرأة فيها علّه ينسى سواها من النساء، ويتمنى أن يمضي ما تبقّى من عمره معها.

لقد أتى على ذكر الزواج من قبل، فهل سيفكر فيه فعلاً، أم أنّ كلامه مجرد ردّ فعل على خطوبتها من جده؟ لكن دوامة الأحاسيس التي جرّها إليها جعلتها تنسى ما حولها، وتنسى مخاوفها لتفرغ ما كبتته طويلاً من مشاعر نحوه.

إنه جايك، الرجل الذي لطالما حلمت به.

وبعد دقائق معدودات، تناهى إليها صوت ينادي مصدوماً: «مرلينا».

رفعت رأسها مجفلة، وقد هزّت الصدمة قلبها. لم يكن هذا صوت جايك يناديها.

بل صوت والدها!

١٠ - رجل شهم

- مرلينا، ما الذي يجري هنا بحق السماء؟

- سأشرح لك يا بابا!

وأملت أن يفهم جايك التحذير فلا يتدخل بل يدعها تعالج المسألة مع والدها.

لماذا، آه، لماذا لم يقرع جرس الباب بدلاً من أن يستخدم المفتاح الإحتياطي ويدخل؟ كانت لتحظى ببعض الوقت لتستعيد هدوءها، لتبتعد عن ذراعيّ جايك... لكن، لم يكن هناك وقت!

وانطلاقاً من المبدأ القائل بأن الهجوم هو أفضل أشكال الدفاع، وقفت منتصبة وسألته: «ما الذي تفعله هنا يا أبي؟».

ردد كلامها غير مصدّق: «ماذا أفعل هنا؟».

ورفع يديه في الهواء بطريقته المعتادة. كان شعره الرمادي، الكثّ والمتموج مسرّحاً إلى الخلف، وحاجباه السوداوان مرفوعين في حركة ساخرة تهزأ من السؤال. وتنشق أنفه المعقوف الهواء وكأنه يستعد لمعركة. أما صدره فبدا منتفخاً فيما صرف بأسنانه البيضاء في وجهه الأسمر الداكن بفعل العمل في الهواء الطلق في كروم العنب. وعاد يكرر كلامها: «ماذا أفعل هنا؟».

بدا وكأنه كورس يكرر اللازمة لكن مرلينا أدركت أنه تصرف إيطالي بحت حيث تتعاظم العاصفة حين تتساقط حبات البرد على رأسها.

قالت بسرعة: «أنت لا تأتي عادة من دون أن تبلغني مسبقاً».

- أنّى لي أن أبلغك وأنت لا تجيبين على الاتصالات؟

والتمعت عيناه الداكنتان باتهام غاضب فيما راح يحرك يديه مشدداً على كل كلمة يقولها. وأردف: «لم تجيبي يوم السبت ولا حتى يوم الأحد أو اليوم. وعندما اتصلنا بمكان عملك، قيل لنا إنك تركت العمل. علمنا هذا من شخص غريب وليس من ابنتنا».

- كنت سأبلغكم.

الاطلاع على أخبار بعضهم البعض هو هواية عائلتها المفضلة. وأضافت: «ولِمَ كنتم تحاولون الاتصال؟ هل من خطب ما في البيت؟».

صرخ وهو يشير إلى مظهرها المشعث باشمئزاز: «انظري إلى أين أوصلتك استقلاليتك العزيزة!».

أخذت مرلينا نفساً عميقاً وأصرّت على سؤالها: «ماذا حصل؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل أمي بخير؟».

ردّ بغضب: «لا، أمك ليست بخير. إنها قلقة للغاية عليك. وهي تمضي نهارها بالنواح قائلة إن خطباً ما حصل لمرلينا. أشعر بهذا هنا».

ووضع يده على قلبه مقلّداً تصرف أمها قبل أن يضيف: «وراحت تقول: «لم أعد أحتمل يا أنجيلو. عليك أن تسافر إلى سيدني لتجدها. وماذا وجدت؟ وماذا وجدت؟».

وارتفعت يده في حركة حنق: «ابنتي... ابنتي بين ذراعيّ رجل!».

يا إلهي! ما الذنب الذي اقترفته؟ وهل سيطردها من حياته إلى الأبد وينكرها كابنة له؟ العالم المعاصر ووالدها لم يلتقيا أبداً، إنه متمسك بتربيته الإيطالية المتزمتة. لكن المشكلة تكمن في... في أنها لا تريد أن تفقد أسرتها. عليها أن تواجه هذا وتحاربه بطريقة ما، لكن كيف؟

وجاء التصريح الهادىء من خلفها: «لقد أسأت فهم الموقف يا سيد روسي».

جايك! لِمَ تدخّلت؟

فاستدارتَ نحوه.

ألم يدرك أن تدخّله سيزيد من غضب أبيها؟ وتمزّق قلبها خوفاً مما قد

يحصل لاحقاً.

قال والدها بصوت عاصف: «إذن! فقد قررت أخيراً أن تتكلم».

- في الواقع، أنت لم تدع لي مجالاً كي أتكلم. لكن الأمور فاقت الحد وبدا لي أن عليّ أن أتدخل.

ووضع يده حول كتفيّ مرلينا وكأنه يحميها قبل أن يردف: «أنا لن أستغل مرلينا يا سيد روسي».

حملق والدها فيه: «أنت من يستغل ابنتي، ويحاول إلحاق العار بأسرتي».

- أبي، أرجوك...

التماسها لم يلقَ أيّ آذانٍ صاغية، بل أنّ محاولتها جعلت والدها يصبّ غضبه عليها مجدداً: «من هو هذا الرجل؟ ألم أعلّمك وأحسن تربيتك؟».

- اسمي جاك دافيلا...

- دافيلا...

وبدا وكأن الإلهام نزل عليه، فأضاف: «أليس هذا اسم رب عملك يا مرلينا».

- لم أعد أعمل لديه يا أبي.

- ماذا؟ هل طردك من عملك بعد أن تمكّن من إيقاعك في حبائله؟

- لا، يا أبي...

تجاهل إنكارها وعاد يهاجم جايك مجدداً: «أنت رجل عديم الشرف. استغليت منصبك لتتلاعب بابنتي».

صرخت مرلينا: «لم يفعل».

لقد اختارت أن تحيّد عقلها وأن تتبع قلبها ولو لمرة واحدة.

وتابع والدها بنبرة انتصار: «أجبرك على قصّ شعرك. كما أخبرتنا سيلفانا أنه أصرّ على أن ترتدي ملابس غير محتشمة إلى عملك».

- ثمة أسباب جيدة لذلك.

كادت مرلينا تصرخ علّه يسمعها. كان ينبغي إقفال فم سيلفانا بسحاب منذ الولادة!

تدخّل جايك: «لا، والدك محق. كنت أستغل سلطتي».

أغمضت مرلينا عينيها في حركة يائسة. ما الذي يفعله جايك الآن؟ ليس لديه أدنى فكرة عن والدها وها هو يقضي على أيّ فرصة لتلطيف الأجواء. إن كان هناك أيّ فرصة.

وأردف يقول بنبرة هادئة دبلوماسية: «في تلك المرحلة، لم أرَ أنّ مرلينا ممتازة كما هي. أردتها أن تتناسب مع الصورة الموضوعة لعملي. آسف لأنك وجدت تأثيري فيها مغضباً ومهيناً لكني لم أتعمد ذلك، ولم يكن هذا هدفي».

احتجّ والدها بصوت عالٍ وغاضب: «آسف؟ هل يعيد لي هذا ابنتي كما كانت؟».

اشتد احتضان جايك لكتفيها فيما رفع يدها اليسرى وأدهشها بمدها نحو والدها ليرى الخاتم الذي وضعه بايرون في إصبعها والذي لا تزال ماسته تلتمع فيه بشكل يخطف الأنظار. كانت قد نسيته تماماً، كما نسيت بايرون كلياً. وأن يأتي جايك الآن على ذكر خطوبتها مع جده أمر غاية في الجنون.

- كنت آمل أن ترضى بي كزوج لها يا سيد روسي؟

ماذا؟

تجمّد جسد مرلينا وشعرت كأنه معلّق في الهواء، فيما غرق عقلها في دوامة. تمنت من كل قلبها لو أن جايك نطق بالحقيقة، لكن لعله لا يعني كلامه. إنه يحاول إنقاذها من الورطة، ورطة أوقعها هو فيها. وإن لم تكن المسؤولية مسؤوليته بالكامل، فهي لم تعارض. لكن لو لم يلحق بها ويعيدها إلى منزلها، لبقيت الفتاة الطيبة التي لطالما أرادها أبوها والتي لطالما كانتها، ضمن مفهومها للصح والخطأ.

لا بدّ أن جايك يفكر في إمكانية فسخ الخطوبة المزعومة لاحقاً. إنه

خاتم بايرون وليس خاتمه، إلاّ أنّ والدها لا يعرف هذا. كانت عيناه تتأملان الماسة، وأملت أن يعميه جمالها عن تصرفها.

- أنتما مخطوبان وستتزوجان؟

كان غضبه العارم قد هدأ إلى حدّ كبير، لكن تقطيبة الاستنكار لم تغب عن وجهه وهو يوجّه الكلام لابنته: «لِمَ لم تقولي له إنه كان عليه أن يطلب يدك مني أولاً؟ لِمَ لم تأتي به ليقابل العائلة؟».

وراح عقلها يغلي لفكرة لقاء جايك بأفراد أسرتها. سيأكلونه حياً. يمكنه أن يتجاوز امتحان لقاء أبيها بنجاح الليلة، لكن الأسرة بكامل أفرادها مسألة أخرى.

- أنا... حسناً، لقد حصلت الأمور بشكل مفاجىء يا أبي.

وتدخّل جايك ليقول بنعومة: «أرجو أن تقبل اعتذاري يا سيد روسي. إنّ والديّ مطلقان منذ صغري؛ لذا، لم أتصور أنكم تتوقعون مني التصرف بطريقة تقليدية. لقد فاجأت مرلينا بتقديم الخاتم لها الليلة. لم نتحدث عن الزواج من قبل. نحن نعرف بعضنا جيداً لأننا عملنا معاً لقرابة العامين، لكني لم أرتبط بها بشكل شخصي إلا بعد استقالتها».

يا إلهي! لقد غطى كافة النقاط بهذا الخطاب القصير. ومن سخرية القدر أنّ كل ما قاله صحيح باستثناء أنه أظهر نفسه كرجل نبيل وليس كزير نساء كما هو حاله في الواقع!

سأله والدها بنبرة مشككة: «ألم تستغلها في العمل؟».

وجاء التأكيد الحازم: «أؤكد لك أن ما من شيء حصل أثناء عملها في الشركة. كانت علاقتنا مهنية صرفة».

إنها حقيقة أخرى.

فكّر والدها في الوضع ملياً قبل أن يقول أخيراً: «إذن أصدّق أنك رجل محترم».

ردّ جايك باحترام: «شكراً لك».

- إن كنت ستتزوج مرلينا، فعليك أن تقابل العائلة.

- في أقرب فرصة ممكنة.

وخطر لمرلينا إنها محاولة تهرّب جيدة. للحظة، بدا لها صادقاً للغاية، ما جعل الأمل في أن يعني فعلاً ما قاله عن الزواج يداعب قلبها. إلاّ أن الحقيقة القابلة للتصديق أكثر هي أن جايك سعى لإنقاذها من ورطتها، وتدخّل كما ينبغي أن يفعل أيّ رجل شهم.

وأعلن والدها بنبرة تحدٍ: «غداً هو موعد مناسب تماماً».

صرخت مرلينا وقد أرعبها كيف سارع والدها إلى اختبار نوايا جايك: «غداً!».

وأرادت يائسة أن تتمسك به لئلا يجرفه التيار: «جايك لديه عمل يديره يا أبي. وغداً هو يوم عمل».

رماها بكلمته بعنف: «وما هو الأمر الأهم من العائلة في مثل هذه الحالة؟ لقد وضعت زوجة ماريو طفلها. وهذا ما أرادت أمك أن تخبرك به».

هذا هو موضوع الاتصالات التي لم تكن موجودة لتردّ عليها!

لكن الولادة لم تكن متوقعة قبل شهر. فسألت بقلق: «لكن الوقت مبكر جداً. هل الطفل بخير؟ هل جينا بخير؟».

بدا أن اهتمامها الصادق أرضى والدها. فتحدث إليها وللمرة الأولى في هذه الليلة، بنبرة هادئة نسبياً: «جينا بخير. الطفل صغير بعض الشيء لكنه في صحة جيدة».

- إنه... أهو فتى هذه الفترة؟

واسترخت مبتسمة قبل أن تردف: «لا بدّ أن ماريو مسرور».

فأشار والدها: «نعم. فثلاث فتيات يكفين. لاسيّما حين يتصرّفن كما لا ينبغي لهن أن يفعلن».

- آسفة يا أبي، لأني لم أكن موجودة...

أعلن جايك ليمنح غيابها حجة محترمة: «مرلينا كانت مع أسرتي. أخذتها للقاء والدتي وجدي».

تنهدت لمهارته في إضفاء طابع رسمي على علاقتهما. في الواقع، إنه ماهر على قدر جده في الخداع. ولسوء الحظ، لم تكن هذه الفكرة لتسعدها. فالخداع قد يترك تأثيراً قصير الأمد، لكن ماذا سيحصل عندما تخفق هذه العلاقة؟

على صعيد الأسرة، لا بدّ أنها ستكسب التعاطف حيث سيُعتبر جايك الشرير الذي غرر بها. لكن ما الذي سيفعله إخوتها بهذا الزوج المستقبلي الفار؟ لم يكن لدى جايك أدنى فكرة عن نتائج فعلته. ربما يمكنها أن تعترف بالحقيقة فتنقذه من تبعات كذبته التي اخترعها بنيّة حسنة. ومن جهة أخرى، إذا ظهرت إمكانية...

الأمل أمر فظيع.

وتوجّه والدها بالحديث إلى جايك: «سيأتي ماريو مع زوجته وطفله إلى البيت غداً. سنقيم حفل شواء للعائلة عند المساء، وأدعوك لحضوره مع مرلينا».

سترمي به إلى الذئاب.

ودفعها الذعر إلى محاولة إنقاذه: «أبي، شرحت لك من قبل عن عمل جايك».

أصرّ والدها بنبرة عدائية: «إنه رب العمل، أليس كذلك؟ القرار قراره. لقد قابلت عائلته وعليه أن يقابل أسرتك».

كرامة وعنفوان الإيطاليين!

ما من سبيل لمواجهة هذا. بدأت قصة جايك المحترمة تحصد ما زرعته.

قال: «سنأتي».

استدارت نحوه بسخط لأنه قفز مباشرة إلى الحفرة التي تسعى إلى إخراجه منها: «نحن نتحدث عن غريفيث يا جايك، ما يعني أنها تبعد ست ساعات بالسيارة عن سيدني».

واصل والدها الضغط بعناد: «يمكنكما أن تستقلا الطائرة كما فعلت

أنا من أجلك يا مرلينا».

التفتت إليه، وقد أخافتها الورطة التي يوقعها فيها: «لم تفعل ذلك من أجلي، بل لأن أمي دفعتك إلى ذلك، بشكواها المستمرة».

عندئذ، وجّه كلامه إلى جايك، ليختبر مدى اهتمامه والتزامه بابنته: «وإن يكن؟ نحن نفعل هذا من أجل نسائنا، أليس كذلك؟».

وافقه جايك الرأي بسرور: «نعم، بالطبع. سنستقل أنا ومرلينا الطائرة المتوجهة إلى غريفيث غداً بعد الظهر».

ودّت لو تضربه.

إنه يصعّد مسألة ينبغي ألاّ تُصعّد إلا إذا كانت صحيحة وهي لا تظنها كذلك. إنّ جايك يلعب حتى الساعة، لكنه بدأ يفقد تمييزه للخط الذي ينبغي الوقوف عنده وعدم تجاوزه. من الخطأ أن تخدع أسرتها. إنه تصرف خاطىء، خاطىء، خاطىء! لاسيّما بهذا الشكل حيث سيجتمع الكل!

عرض والدها مؤكداً الترتيبات: «حسناً! يمكن أن تتصل مرلينا بأمها لتعلمها بموعد السفر وسأطلب من أحد أشقائها أن يلاقيكما في مطار غريفيث».

أحد أشقائها! سيبقون كلهم عيونهم على جايك... الخطيب الغريب، رجل المدينة الذي لم يكن حتى إيطالياً.

قال جايك مفرطاً في استخدام سحره: «هذا لطف بالغ. شكراً لك».

قال والدها بفظاظة، إذ لم يستسغ الفكرة: «حسناً، سأترككما وحدكما. ظننت أنك لست في المنزل يا مرلينا، لأنك لم تجيبي على الاتصالات الهاتفية. لذا، اتفقت مع أخي جورجيو على الإقامة عنده في غليب».

- سأطلب لك سيارة أجرة.

شعرت مرلينا بارتياح شديد لأنّ والدها يستعد لتركها هي وجايك بدلاً من أن يبقى ليحرص على احترام معاييره الأخلاقية. كانت قد تخلصت من يد جايك حول كتفيها متوجهة نحو الهاتف في المطبخ حين

www.elromancia.com

رمى جايك قنبلة أخرى ليوقفها جامدة في مكانها.

- سيارتي في الخارج يا سيد روسي، وسيسرّني أن أوصلك بنفسي. سيمنحنا هذا فرصة لتتعرّف إلى بعضنا البعض بشكل أفضل.

انقبضت معدة مرلينا لهذه الفكرة. هل يمرّ جايك بمرحلة جنون مؤقتة؟

وسأله والدها: «سيارتك... هل هي الفيراري الحمراء؟».

- نعم، إنها هي.

هزّ والدها رأسه في حركة تقدير: «ذوقك في السيارات جيد. ما من أحد يتفوّق على الإيطاليين. أنا نفسي اعتدت أن أقود سيارة ألفا. في هذه الأيام، أقود سيارة من النوع العائلي، لكن حين كنت شاباً...».

وابتسم لجايك ثم أضاف: «سيسعدني أن أرافقك في سيارتك الفيراري. شكراً لك».

- هذا من دواعي سروري.

كانت مرلينا مذهولة من تطوّر الأحداث إلى حدّ جعلها تفقد قدرتها على الكلام فيما ابتسم لها جايك وطبع قبلة على جبينها.

إنه يتسلّى.

المسألة بالنسبة إليه مجرد لعبة، وهو يجد متعة بالغة في رمي الكرة في ملعب والدها. إنه لا يدرك أن ملعب آل روسي مطوّق بالقواعد التي ينبغي احترامها... واكتسحها الرعب مجدداً. تأخذ عائلتها بعض الأمور على محمل الجد، الجد البالغ، وها هو جايك يغطس نحو الأعماق من دون أن يعرف ما الذي ورط نفسه فيه.

لا بدّ من القيام بخطوة ما!

أشارت إلى الأريكة وهي تجبر ساقيها على التقدّم، قائلة: «اجلس يا أبي. عليّ أن أتحدث إلى جايك قبل أن ترحلا».

علّق وهو يستريح على الأريكة: «إنه شاب وسيم».

ثم أردف بلهجة مؤنبة: «بعد رحيلنا، عليك أن تتصلي بأمك يا

مرلينا. لن تنام قبل أن تتأكد من أنك بخير».

- أعدك بأن أفعل ذلك. والآن، هلا عذرتنا...

- هيا اذهبا.

صرفها بحركة من يده مضيفاً: «يا له من خاتم خطوبة جميل أيضاً! سيثير إعجاب أمك».

هوى قلب مرلينا كحجر ثقيل. خاتم بايرون! يا لها من فوضى! كان عقلها يدور في دوامة من الأفكار وهما يتوجهان إلى غرفة الضيوف. دخلا إليها فأغلقت الباب واستندت إليه لتحرص على حصولهما على بعض الخصوصية.

صرخت به، محاولة ألاّ يشتت سحره ووجودهما وحيدين في الغرفة تركيزها: «هل أنت مجنون؟».

تشدّق فيما ارتسمت على وجهه ابتسامة تسلية: «ظننت أني أبليت بلاء حسناً في الخارج».

صرخت وهي ترفع يديها في حركة عكست مدى قلقها: «لقد تماديت كثيراً يا جايك. حاولت أن أوقفك...».

- لم أكن أرغب في أن توقفيني يا مرلينا.

- أنت لا تفهم. أنت تلهو بعائلتي، وهم ليسوا من أبناء المدن المحنكين الذين لا يبالون بهذه المسائل. سوف...

- أنا لا ألهو.

اعترضت بعنف وقد أزعجتها لامبالاته: «بلى، أنت تفعل».

- لا، لا أفعل.

وارتسمت على وجهه ابتسامة شيطانية فيما التمعت عيناه سروراً وهو يتقدّم منها ليحيط خصرها بيديه ويدنيها منه، موقظاً تلك الأحاسيس التي لا تملك أيّ قدرة على السيطرة عليها.

قال قاطعاً الطريق على أيّ اعتراض من جانبها: «قررت أن أتزوجك يا مرلينا روسي».

www.elromancia.com

وتوقّف قلبها عن الخفقان.

لامس خدها وهو لا يزال يبتسم فيما راحت هي تصارع عدم التصديق. أخذ يضايقها: «أما من تعليق؟».

ثقته بنفسه التي لا تحتمل والقلق الذي جعلها تمرّ به جعلا ردّ فعلها يأتي معاكساً لرغباتها، فردّت بغضب: «لم أوافق بعد يا جايك دافيلا».

- ستفعلين. فقد وقعت في الشرك.

بعدئذ، عانقها فسرق منها أيّ ردّ سلبي على انتصاره، وأثار فيها ذاك الشغف الذي يجعلها تنسى كل ما حولها. واكتسحتها رغبة جارفة في التملك. إنها تريد هذا الرجل. وحثّها صوت في داخلها على أن تستفيد من الفرصة وألاّ تعترض على التفاصيل وتخشى ما قد يحمله المستقبل من ألم.

همس وهو يتراجع إلى الخلف: «لا يمكننا أن ندع والدك ينتظر يا هرّتي الصغيرة».

ردّت غير قادرة على اتباع غريزتها بشكل أعمى: «هل توقّفت وفكرت في ما تورط نفسك فيه مع هذه الهرّة؟ فالزواج يعني الكثير بالنسبة إليها».

- يمكننا دوماً أن نفسخ زواجنا.

مزّقت الصدمة الأمل الغادر التي كانت براعمه قد بدأت تزهر بعد أن علمت أنه قرر الزواج بها. وأدركت بألم أن الزواج مسألة لا تدوم إلى الأبد بالنسبة إليه. فوالداه مطلقان، وجده مشهور بزيجاته المتعددة وطلاقه المتكرر. إنه مجرد عقد يمكن فسخه إذا لم يعد يناسب أحد الطرفين. ولعل هذا يعني بالنسبة إلى جايك ظهور شخص أكثر إثارة في حياته.

هذه هي طريقة تفكيره، وهي تكره هذا. تكرهه! إن كان الأمر مجرد لهفة للفوز في هذه اللعبة، ومتعة في مواجهة التحديات، ورغبة في التفوّق رغم كافة المعارضات، فما هي فرص نجاح هكذا زواج؟ ما كان عليها أن ترضى به. ما كان عليها أن تجاريه. إلا أنها لم تستطع أن تجبر نفسها على النطق بكلمة «لا» صريحة وواضحة.

وبدلاً من ذلك، قالت حقيقة أخرى:

- لم يحدث أيّ طلاق في أسرة روسي يا جايك، فهذا أمر لا يتقبلونه.

كان هذا تحذيراً أرادته أن يأخذه على محمل الجدّ، لكنه لم يفعل.

قال بتهوّر مرح: «لنرَ كيف ستجري الأمور. سأمر لآخذك عند الساعة التاسعة صباحاً كي نختار خاتماً لك».

ذكّرته بعنف وقد أغاظها موقفه اللامبالي: «لقد رأى والدي خاتم بايرون».

- اخلعيه، سنختار معاً خاتماً آخر.

- جايك...

كانت صرخة عذاب من هذا الوضع.

- ثقي بي.

وعانقها مجدداً ليخفف قلقها ثم لامس خدها في تحية أخيرة حنون مضيفاً: «سأجعل والدك يرضى بي قبل أن نصل إلى غليب».

صرخت به وقد فقدت الأمر في أن تجعله يفهم حقيقة الوضع فيأخذ حذره: «هذا ليس بيت القصيد».

لن يتوقّف ليعيد التفكير في ما يفعله، فثقته بنفسه فائقة.

- نحن جيدان معاً، لا بل نحن عظيمان. فكّري في الأمر.

وأزاحها جانباً وفتح الباب ثم ابتسم لها ابتسامة سعيدة أخيرة قائلاً: «أراك عند الصباح».

١١ - ما هي النهاية؟

علقت في الشرك... هذه الكلمات لم تفارق مرلينا طوال الليل، حيث راحت تتقلب في فراشها وقد جافاها النوم. وعندما غفت أخيراً، حلمت بأنها واقعة في فخ وعاجزة عن الخروج منه. وخطر لها أن هذا جزاء الخداع. ما كان جايك ليفكر قط في الزواج لولا خطوبتها الزائفة مع جده. لكن، ما الذي يمكنها أن تفعله حيال ذلك؟

كاد والدها يمنح موافقته على جايك كصهر له حتى قبل أن يرحلا معاً، ولا شك في أنه وقع تحت تأثير سحره وقبل به بكل فخر كفرد من أفراد الأسرة قبل أن يصلا إلى منزل العم جورجيو في غليب. ولعله طلب منه الدخول للاحتفال بهذه المناسبة ولياهي بخطيب مرلينا أمام أخيه.

أما الاتصال الذي أجرته بأمها فامضته تشرح أسباب غيابها... شرح علمت أن والدها سيدعمه، بعد ما رواه له جايك. وقالت لنفسها إن ما قالاه ليس كذباً بالضبط، رغم أن ارتياح أمها لأنّ مرلينا قررت أخيراً الزواج وسرورها لأنها ستزور الأسرة مع خطيبها غداً، جعلا معدتها تنقبض.

لقد ارتفع سقف التوقّعات.

وينبغي الوفاء بهذه التوقّعات.

وقعت في الشرك.

الشخص الوحيد الذي يمكنها أن تبوح له بمكنونات قلبها وتسأله النصح هو بايرون... شريكها في الجرم. إنه يستيقظ باكراً، لذا، تسنّى لمرلينا الوقت لمناقشة الوضع معه قبل وصول جايك في التاسعة. اتصلت

به عند السابعة وقد تملكها توتر شديد وشعرت بحاجة كبيرة إلى دعم.

أجاب رئيس الخدم على اتصالها وعبّر على الفور عن اهتمامه: «هل الأمور على ما يرام يا آنسة روسي؟ لاحظت أن السيد جايك يدفعك لمغازلته الليلة الماضية، ممسكاً بزمام المبادرة».

ردّت بحرارة: «لقد فعل هذا يا هارولد».

من المدهش كم تشعر بالراحة مع العاملين في منزل بايرون. فقد عاملوها بلطف بالغ، واهتموا كلهم بها.

علّق هارولد بنبرة متعاطفة: «إنه شاب يحب فرض إرادته بالقوة».

وافقته الرأي: «نعم، وعليّ أن أتحدث إلى بايرون بهذا الشأن يا هارولد. فهل هو هنا؟».

- أنا واثق من أن السيد بايرون سيسرّ لسماع صوتك. لحظة من فضلك يا آنسة روسي، سأحوّل له الاتصال.

- شكراً لك.

أخذت نفساً عميقاً فيما هي تنتظر، محاولة أن تخفف من توترها وقلقها. وجاء صوت بايرون الساحر كبلسم لأعصابها المتوترة. سيفهمها. سيفهم كل ما ستقوله.

- عزيزتي مرلينا، هل نجحنا في القبض على ذاك الشاب المتهور والجامح؟.

خرجت من حلقها ضحكة هستيرية: «إذا ما كنت تعني الزواج فاعلم أن جايك ألزم نفسه الليلة الماضية أمام والدي!».

سأل باهتمام: «والدك؟».

لم تحتج مرلينا للمزيد كي تروي له تفاصيل الأحداث التي أدت إلى الوضع الحالي أيّ إلى خطوبتها من جايك أمام عائلتها.

علّق بايرون باستمتاع: «الفارس الشهم يهبّ للنجدة. أحسنت يا فتى! يبدو أنه ورث عني غرائز الرجل النبيل».

انتحبت: «لا أريد أن يكون جايك رجلاً نبيلاً. أريده أن يعني ما

قاله وفعله، أن يعنيه حقاً. وبعد أن ألزم نفسه مع أسرتي، التي لن تعتبر المسألة مجرد لعبة صدّقني، أتى على ذكر الطلاق كوسيلة للخروج من هذه الورطة في المستقبل. أعلم أن الأمر شائع في أسرتكم يا بايرون، لكنه ليس كذلك في أسرتي. إنهم إيطاليون للغاية. إيطاليون جداً».

وساد الصمت للحظة فيما راح بايرون يفكر في المسألة جدياً.

وعادت مرلينا تقول وقد منعها قلقها الشديد من التزام الصمت: «اليوم على سبيل المثال، سيشارك في حفل شواء تقيمه العائلة... حفل سيضم أشقائي وشقيقاتي المتزوجين وأولادهم فضلاً عن أعمامي وعمّاتي وأخوالي وخالاتي وجدّي والطفل الجديد... القبيلة كلها ستجتمع وتعانقه وترحب به ثم تتفحّصه وتخضعه لاستجواب لتعرف تفاصيل حياته».

وتنهدت تنهيدة قلق نابعة من أعماقها.

سألها بايرون: «ما من أحد منهم مطلّق؟».

ردّت مشددة على كل كلمة تلفظها: «أو قد يتطلّق».

- أتعلمين، قد يحب جايك هذا. العائلة المتماسكة والمكتكاتفة، فهذا ما لم يحظَ به أبداً. يمكن لهذا أن يغريه ويثبته على قراره.

- أو يجعله يهرب ليبعد قدر المستطاع.

- لا... لا... لن يفعل هذا. سيعتبر المسألة تحدياً. وسيسعى لأن يفوز بقلوبهم.

قالت بيأس: «لعبة».

- ليس بالضرورة. أنت تبالغين في القلق يا عزيزتي. ما كان جايك ليأتي على ذكر الزواج لو لم يكن في باله.

- لأنك... لأننا... دفعناه للتفكير فيه يا بايرون.

- البذرة لا تنبت إلاّ إذا زرعت في الأرض الصالحة لها. أنتما متناسبان تماماً. وهذا جليّ للغاية بالنسبة إليّ.

«نحن جيدان معاً، لا بل عظيمان».

وتسارعت دقات قلبها أملاً وهي تتذكر كلمات جايك.

نصحها بايرون: «أعطي علاقتكما فرصة. وانتظري لتري ما ستؤول إليه الأمور».

هذا ما قاله جايك بالضبط.

هل بالغت في القلق؟

ذكّرها بايرون: «أنت تريدين هذا يا مرلينا. ما كنت لتجاريني في لعبتي إن لم ترغبي في استمالة جايك. إنه هنا الآن لأنه يرغب في ذلك. دعي عائلتك تحتضنه. سيري مع التيار. وكوني سعيدة يا عزيزتي، فالرجل يحب أن يرى امرأته سعيدة».

من الصعب أن تكون سعيدة فيما تشعر بهذا القدر من القلق، إلاّ أنّ بايرون محق. لقد أرادت هذه النتيجة، لكنها حصلت بسرعة فائقة بحيث تعجز عن حمل نفسها على الوثوق بها، لاسيّما وأنه ذكر الطلاق أثناء ذكره الزواج.

قالت: «حسناً، سأسير مع التيار اليوم لأرى إلى أين ستفضي بنا الأمور».

فسارع بايرون يشجّعها بمرح: «أحسنت يا فتاة! إن لم تغامري فلن تكسبي شيئاً. كوني لاعباً بارزاً في هذه اللعبة».

كلامه هذا ذكرها بمدى التشابه بين الجدّ والحفيد. لا بد أنها مجنونة لتطلب النصح من بايرون. لكنه، من جهة أخرى، أعطاها فكرة عن خلفية جايك، فالأولاد الذين يتربون في أسس مفككة لا يؤمنون بالوعود التي تدوم إلى الأبد. وهذا لا يعني أنهم لا يريدون التزامات قوية ومتينة. ربما... فقط ربما... يمكنها أن تعمل على ألاّ تنتهي هذه اللعبة مع جايك أبداً.

قالت بامتنان: «شكراً لك يا بايرون. لقد منحتني ما يكفي من الدعم ومن المعنويات للجولة التالية».

- أحسنت! وأتمنى لك حظاً وفيراً يا عزيزتي.

وعدته: «سأحتفظ بخاتمك الماسي في مكان آمن حتى ألقاك مجدداً».

- ضعي خاتم جايك بفخر يا مرلينا، فهو سيحب أن تفعلي هذا.

- سأفعل. والآن، إلى اللقاء.

- أتمنى لك أياماً سعيداً!

كانت تبتسم وهي تعيد سماعة الهاتف إلى مكانها. أيام سعيدة... ستكون على الأرجح جنة للمجانين، لكن لمَ لا تستمتع بما يمنحه جايك فيما تستطيع ذلك؟ إنه رجل رائع، وقد جعلها تشعر بأنها محبوبة، محبوبة بشكل جميل، لا بل رائع. إذا أراد لعلاقتهما أن تدوم، فعليها أن تمنحها فرصة!

كانت خطواتها سعيدة وهي تهرع إلى غرفة نومها لتختار ما سترتديه هذا الصباح. ستعتمد الأناقة الكلاسيكية لمحلات المجوهرات التي سيصحبها جايك إليها إن كان ينوي إلباسها خاتماً ملفتاً بقدر خاتم جده.

اختارت أحد الفساتين التي اشترتها مؤخراً، فستاناً يلتصق بجسمها أحمر اللون، مع لمسات من اللونين الأبيض والأسود أشبه برسوم تجريدية. واختارت أن تكمّله بحزام أبيض عريض وحذاء أبيض عالي الكعبين وحقيبة يد صغيرة بيضاء.

كان مظهرها بسيطاً إنما ملفتاً للغاية. فالأناقة تكتمل عبر الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة.

وانطلاقاً من هذا المبدأ، وضعت طلاء أظافر أحمر اللون على أصابع قدميها ويديها، وأولت تبرّجها عناية خاصة، ثم أضفت على مظهرها لمسة أخيرة باختيارها أقراطاً ذهبية كبيرة. وتماشى هذا كله مع الساعة الكلاسيكية الذهبية التي تلقتها هدية من جدتها في عيد ميلادها الواحد والعشرين.

اكتفت بهذا القدر من المجوهرات، بعد أن أخفت خاتم بايرون في قعر كيس من البازيلا في الثلاجة.

قرع جرس الباب عند الساعة التاسعة إلاّ خمس دقائق. فشعرت

بالامتنان لأنها لن تضطر لانتظار وصول جايك، إذ أن الانتظار يوتّر أعصابها. فتحت الباب لتجده غاية في الأناقة في بذلته الرمادية المقلّمة وقميصه الأبيض وربطة عنقه الحريرية. بدا وسيماً كما لم تره يوماً، لاسيّما حين ابتسم لها فيما تراقصت عيناه الداكنتان سروراً لمظهرها.

- يا إلهي! عندما تقررين التعبير عن نفسك، فأنت تفعلين ذلك بقوة يا مرلينا. اللون الأحمر يناسبك تماماً.

وتذكرت على الفور لباس البحر المصنوع من الورد الأحمر. لقد خدمتها الجرأة حين لعبت دور المرأة الشقراء اللعوب التي تخرج من قالب الحلوى، فدفعتها غريزتها على الفور إلى اعتماد وقفة مغرية واضعة يديها على خصرها الرفيع.

قالت له وهي تخفض أهدابها لترمقه بنظرة حارة جداً: «خطر لي أن ألبس هذا اللون بما أنك تنقذني من العار».

ضحك وتقدّم منها ثم أقفل الباب ليضمها إليه في حركة تملّك: «إذن، ها هي مرلينا الحقيقية تظهر في هجوم ساحق».

وابتسم لها قبل أن يضيف: «وهل نجحت في إنقاذك؟».

رفعت حاجبها في تساؤل: «هذا يعتمد على كيفية سير الأمور مع والدي الليلة الماضية».

أعلن باستمتاع: «سارت الأمور على خير ما يرام. أنا قادر على مواجهة أي تحدٍ».

- ربما من الأفضل أن تطلعني على برنامجنا لليوم.

قال وهو يبتسم: «سنخرج لشراء خاتم. أظن أن علينا أن نختار خاتماً من الياقوت. يمكن أن يكون مرصعاً بالماس لكن شرط أن يتوسط الماس حجر من الياقوت الأحمر».

تعالت الضحكة من حلقها. جايك دافيلا زير نساء لكنها تحبه، تحب كل ما فيه. وعلّقت: «لن يبدو كالخاتم الآخر».

- الذي أتمنى أن تكوني قد نزعته من إصبعك.

ورفع يدها ليتحقق من ذلك ثم أضاف برضا: «حسناً فعلت!».

- وضعته في مكان آمن.

- وهذا المكان لي.

وأدهشها حين أمسك بإصبعها وطبع عليه قبلة فيما التمعت عيناه رغبة.

مضت لحظات قبل أن تتمكن من التقاط أنفاسها لتقول: «سيلاحظ أبي الفرق».

ترك إصبعها وردّ بثقته المتغطرسة المعتادة: «والدك يظن أني فاجأتك بهذا الخاتم. لم يعجبك فقررنا أن نختار اليوم خاتماً آخر معاً. فما رأيك؟».

- لا بأس!

وأخذها بين ذراعيه في عناق حنون، ودّت لو يستمر إلى الأبد. تغلغلت أصابعه في شعرها وهو يقول: «ماذا سأفعل بك؟».

بدا وكأنها أحجية يعجز عن حلّها.

ذكّرته: «قلت إنك ستتزوجني».

ضحك والتمعت عيناه: «إنها بداية محددة وواضحة».

بداية!

هل من خط نهاية؟

جاهدت مرلينا لتتغلب على هذه الأفكار السلبية. جايك يريد أن يتزوجها. وقد تجري الأمور على خير ما يرام. عدم استغلال الفرصة أمر غير معقول أو مقبول.

وأردف: «سنخرج الآن لنشتري الخاتم. وبما أنني أشعر أني في قمة السعادة، سنحتفل بتناول الغداء في أشهر المطاعم التي تطل على سيدني. بعدئذ، سنستقل الطائرة المتوجهة إلى غريفيث والتي تقلع عند الساعة الثانية والنصف...».

- هل حجزت مقعدين لنا؟

ابتسم لها ابتسامته الساحرة: «عندما نصل إلى المنزل، قد تتمكنين من اصطحابي في جولة في كروم العنب التي أخبرني والدك عنها قبل أن نخلد إلى النوم».

حماسته كانت معدية. وخطر لها أنها لن تندم يوماً على ما عرفته من جايك دافيلا، مهما حمل لهما المستقبل.

حذّرته بفظاظة: «ما من شيء اسمه خصوصية في أيّ مكان قريب من عائلتي يا جايك. سيغرقونك هذا المساء».

- ستهبين لتجدتي فأنت طوق نجاتي.

هزّت رأسها: «ستفقد احترامهم إذا ما طلبت مني أن أنقذك. فإما أن تسبح وإما أن تغرق».

أعلن من دون أن تهتز ثقته بنفسه: «أنا رجل مكافح بطبعي ولا أحب الاستسلام».

لكنها لعبة مختلفة، وشروطها غريبة بالنسبة إليه. نصحته بجدية: «خذ الأمور ببساطة، ولا تبالغ في بذل الجهد».

أرادت أن تحبه عائلتها وأن تأخذه في أحضانها وتتقبّله.

محا خطوط القلق عن جبينها بلطف وهو يذكّرها: «لقد كسبت والدك إلى جانبي. أعدك بأن تسير الأمور على خير ما يرام يا مرلينا. فلا تقلقي».

لم تستطع أن تمنع نفسها من القلق. جايك معتاد على الفوز، لكن إرساء أسس متينة مع أسرتها يتطلب أجوبة صادقة تُعزف على أوتار متناغمة. إن لم يحصل هذا... حسناً، يبقى أمامها خيار أن تستمر بالعلاقة وحدها. إلاّ أن التفكير في هذا الخيار جعلها تشعر بنوع من الخسارة. لعلها اختارت أن تعيش بعيداً عن أسرتها معظم الوقت إلاّ أنها تريدهم أن يكونوا موجودين من أجلها، كحالهم دوماً.

سألها: «هل حضّرت حقيبتك؟».

- نعم، إنها في غرفة نومي.

www.elromancia.com

- جيد. حقيبتي في السيارة. من الأفضل أن نتحرك، ونتجه إلى المدينة.

وافقت وهي تتنهد: «أظن أنه من الأفضل أن نفعل».

ابتسم: «ما من نقاش هذا الصباح؟».

أمالت رأسها تفكر في ما قاله، ثم رمقته بنظرة تعلمه أنه يلعب بالنار وهي تجيب: «لن أجادل أو أناقش حتى تُقدم على تصرّف لا يعجبني».

ضحك وأخذها بين ذراعيه للحظات قائلاً: «أعدك بأن أحسن التصرف أمام أسرتك. اتفقنا؟».

قالت بسخرية إذ تعلم أن جايك يهوى التحديات: «أعيش على أمل هذا الوعد».

- سترين!

بدا أنه لا يخشى فكرة أن يخضع للمراقبة والتقييم لتحدد الأسرة ما إذا كان عريساً مناسباً.

ربما قد تنجح علاقتهما وتدوم إذا ما استمرت في وضع التحديات في طريقه.

لكن تبقى مسألة الأبوة الهامة.

كيف سيكون ردّ فعله عند رؤية مولود ماريو وجينا الجديد؟

عليها أن تراقب جايك جيداً.

فالأفعال أصدق إنباءً من الأقوال.

١٢ - الحياة مجرد لعبة

تستّى لجايك أن يجلس وحيداً ويفكر فيما هو ينتظر خروج مرلينا من حمام السيدات في المطار. لقد أصرت على أن يبدّلا ملابسهما قبل الصعود على متن الطائرة المتوجهة إلى غريفيث. فاستبدل بذلته ببنطلون من الجينز وقميص رياضي أخضر اللون يناسب حفل الشواء، وراح يتساءل عن الملابس التي قد تختارها للحفل العائلي هذا.

لقد عرف الكثير عن مرلينا الحقيقية في الساعات الماضية. اكتشاف تلو الآخر. لقد لفتت انتباهه وأثارت فضوله منذ اجتماعهما الأول، لكن التعرّف إليها عن كثب مبهج على كافة الأصعدة. جاء عرضه للزواج مندفعاً ومتهوراً لكنه لم يندم عليه. في الواقع، شعر برضا بالغ وهو يرى خاتمه في إصبع مرلينا.

بدا الأمر غريباً نوعاً ما، بما أنه لم يفكر في الزواج قبل الليلة الماضية. لطالما ظن أن الزواج لا يستحق العناء، فهو مجرد هرج ومرج في حفل الزفاف وسنوات من العذاب بسبب عدم الانسجام يتبعها دفع ثمن الغلطة في المحاكم للحصول على الطلاق.

لكنه اتخذ هذا القرار من أجل مرلينا من دون أيّ تردد. كما أنّ هذا القرار لم يزعجه أبداً، لا بل شعر بالارتياح حين اتخذه. لكن المشكلة تبقى في أن يجعلها هي أيضاً تشعر بالارتياح. فقد بقيت ترمق الخاتم المرصّع بالماس والياقوت بنظرات مستغربة طيلة فترة الغداء وكأنها لا تصدق أنها مخطوبة. كما بدت متضايقة من فكرة لقاء عائلتها، رغم تطميناته وتأكيده على أن يحسن التصرف.

www.elromancia.com

لقد أوقعها نوعاً ما في هذه الورطة، ولا بد أن تساورها الشكوك حول الزواج من رجل تعتبره زير نساء. صحيح أنه لطالما اعتبر الحياة مجرد لعبة، فهذه أفضل طريقة برأيه لمواجهتها والتعامل معها، لكن هذا لا يعني أنه لا يستطيع الالتزام بشيء ما إذا أراد ذلك.

إن كان لديه سبب وجيه لذلك.

وجاء السبب الوجيه يتبختر من استراحة السيدات، وقد ارتدى سروالاً فضفاضاً أبيض اللون وبلوزة حمراء من الحرير ذات ياقة بيضاء مفتوحة. بدت مثيرة وأنيقة. تعبير وجهها المتوتر تحوّل إلى ابتسامة ارتياح وهي تلاحظ مظهره الجديد. أما جايك فلم يشعر أبداً بالارتياح، فمجرد رؤيتها أثارت فيه رغبة جامحة ولم يعرف كيف سيتمكن من كبحها. وأمل أن تقدّم عائلتها ما يلهيه عن هذه الأحاسيس التي تتجمع في داخله أشبه ببركان يتحضّر للانفجار.

سألها ممازحاً: «هل مظهري مقبول أكثر الآن؟».

أجفلت بعض الشيء قبل أن تجيب: «بدوت ابن المدينة بامتياز في بذلتك».

مازحها مجدداً: «نحن نناسب الصورة المطلوبة مجدداً، أليس كذلك؟».

احمرت وجنتاها بشكل مذهل ولاحظ نظرة ضعف في عينيها وهي تحاول أن تشرح له: «نحن نخطو نحو عالمهم يا جاك. أعلم أنك لا تتناسب... لا تتناسب...».

تقدّم منها واحتضنها بين ذراعيه: «يسرني أن أسير مع التيار كيفما حملني يا مرلينا. وأنا مرتاح تماماً في هذه الملابس كما تعلمين، فهذه هي الملابس التي أرتديها في عملي».

- نعم، نعم، فعلاً.

استرخت قليلاً.

وفي محاولة منه لرفع معنوياتها أكثر، قال: «أتعلمين ما هي مشكلتك؟ أنت لم تخططي لهذا كله بنفسك، وبالتالي أنت لا تسيطرين على كافة

التفاصيل. لكن، في بعض الأحيان عليك أن ترخي اللجام يا عروستي».

ضحكت بعصبية: «صدّقني يا جايك، إني أحاول جاهدة».

- إذن، تعالي وطيري معي.

وابتسم لها ليكسب موافقتها وثقتها فيما أبقى ذراعه حول خصرها وأدارها ليسيرا معاً نحو قاعة الانطلاق.

لم يساور جايك أيّ قلق من أن يبدو في غير محله. فالمسألة بالنسبة إليه مسألة تأقلم مع الظروف وانسجام مع المحيط العام، وهذا ما اعتاد أن يفعله طيلة حياته. إذ تعلّم مبدأ الغرق أو العوم منذ نعومة أظافره. طلاق والديه شوّشه لبعض الوقت لكنه نمّى لديه حس الاستقلالية. في الواقع، لطالما استهوت طبيعته لعبة البقاء للأقوى، ولن يخسر في هذه اللعبة اليوم.

جارت مرلينا خطوات جايك، وطارده الخوف من أن تنتهي رحلتها معه بالتحطم والاحتراق. جرّا حقيبتيهما ليضعاهما في الخزائن فوق مقعديهما، فلا يضطران للانتظار طويلاً بعد انتهاء الرحلة. لقد اتصلت بوالدتها لتطلعها على موعد وصولهما فأخبرتها أن اثنين من إخوتها، داني البالغ من العمر أربع وثلاثين سنة وجو الذي يصغره بسنة واحدة، سينتظرانهما في المطار ليقلهما إلى البيت.

علمت أن كليهما سيعتبران جايك ابن المدينة المتأنق لو بقي مرتدياً بذلته الأنيقة تلك. الانطباع الأول مهم جداً. رغم أن جايك كان محقاً بشأن الصورة. يمكن أن يبدو في مكانه الطبيعي بالطبع، ولا شك أبداً في أنه سيعمل على أن يبدو كذلك، فهو ماهر جداً في التعامل مع الناس. لكن ما الذي سيفكر فيه أو يشعر به خلف هذه الواجهة من السحر؟

كانت تعلم أنه يريدها. وينوي أن يحتفظ بها إلى جانبه طالما استمرت رغبته فيها.

وباستثناء الرغبة في الفوز والشوق، كانت مشاعر جايك أشبه بلغز بالنسبة إليها. أحست بحاجة شديدة إلى اكتشاف هذه المشاعر قبل أن

يتزوجا. وبقدر ما كانت تتوق للبقاء مع جايك، لم تستطع أن تتقبل استعجال الزواج، فهذا القرار غاية في الأهمية. الزواج عقد لمدى الحياة ويتضمن أطفالاً.

عليها أن تراقبه.

عليها أن ترى.

يجب ألاّ تعميها مشاعرها نحوه، والحاجة إلى التمسك بما يتنامى ويقوى مع مرور الوقت.

استغل جايك الرحلة ليستنطق مرلينا حول أسماء أفراد الأسرة الذين سيحضرون الحفل وعلاقات القربى ما بينهم. فنظّم المعلومات في ذهنه وربط في ما بينها وخزّنها في ذاكرته. بدا الأمر أشبه بالتحضير لاجتماع عمل، باستثناء أن الأرقام كانت أكبر لهذا الاجتماع. وراح يكرر المعلومات في ذهنه مراراً وتكراراً حتى شعر بها مطبوعة فيه، ما سيسهّل التعارف والحوارات اللاحقة.

إلاّ أنه لم يكن مستعداً نفسياً لترحيب داني وجو الفرح بهما؛ رجلان ضخمان رفعا مرلينا عن الأرض ودارا بها يعانقانها ويقبلانها بمحبة وحنان واضحين، ثم انتقلا إليه، يصافحانه بحرارة ويربتان على ظهره، مطلقين تعليقات سعيدة.

- مرلينا! وأخيراً اخترت لنفسك رجلاً!

- أحسنت الاختيار! ظننا أن الآنسة المستقلة لن تعلق في شباك أحد أبداً.

- أمي في غاية السعادة مع ولادة الطفل الجديد وهذا الزواج المنتظر.

- سنقيم حفلاً رائعاً الليلة.

حرارة سعادتهما الواضحة التفّت حول جايك، وتغلغلت إلى زوايا روحه فجعلته يشعر بالارتباك. لم يكن معتاداً على هذه التصرفات التلقائية الصادقة. هذا ليس سحراً تمّ التدرّب عليه، بل كلام صادق يخرج من القلب مباشرة. وبدت ابتسامته كاذبة ومصطنعة مقارنة مع ابتسامتيهما

العريضتين اللتين عكستا سرورهما.

ودار حوار حار بينهم فيما رافقهما الشقيقان من المطار إلى سيارة رباعية الدفع مركونة في موقف السيارات. وما إن استقروا في السيارة وانطلقوا في طريقهم نحو كروم أسرة روسي حتى تركّز الاهتمام على جايك.

بدأ داني الكلام: «إذن، فأنت رب عمل مرلينا. حدّثنا عن عملك يا جايك».

شرح لهم مجال عمل شركته، مدركاً أنّ بعض الشركات الأوروبية اكتسبت سمعة سيئة لأنها اعتادت استغلال الأطفال. حرص جايك على أن تعلم أسرة مرلينا أن مبيعاته مشروعة، وما من خداع فيها، حيث يحصل الزبون على ما يريده فقط وعلى ما يدفع من أجله.

كان كل من داني وجايك يملك هاتفاً خلوياً وهما يجيدان العمل على الكمبيوتر، ما يعتبر شرطاً أساسياً لنجاح أيّ عمل في هذا العصر. لكنهما عبّرا عن استهجانهما لما يبيعه جايك.

- أتعني أن الناس يدفعون المال لاستبدال رنة الهاتف العادية بنغمات موسيقية معينة؟

أشار جايك: «هذا الأمر يجعل الاتصالات شخصية أكثر».

- ما العيب في إعطاء اسمك؟

- لا شيء. إنه ابتكار جديد وهو يسلّي الناس.

- ولعله يقودهم إلى الجنون أيضاً.

- في هذه الحالة، يحصل على ردّ سريع.

- فعلاً! أطفىء هذا الشيء الملعون.

- تلوّث بسبب الضجيج.

صحح لهما جايك، وقد شعر وكأنه في موقع دفاعي: «ليس بالضرورة. سوّقنا مجموعة كبيرة من النغمات وبعضها سار جداً. سار أكثر من رنة الهاتف العادية».

- وعملك كله يقوم على هذا؟

بدا جلياً أنهما يريان هذا العمل سخيفاً. لم يتساءل جايك يوماً عن قيمة ما يفعله. ظنّ أن الفكرة قابلة للتسويق وقد ثبت أنها كذلك. في الواقع، حققت هذه الفكرة نجاحاً ساحقاً على الصعيد المالي، ما سرّه بالطبع. إلاّ أنّ ما يبيعه لا قيمة فعلية له، بل إنه مجرد مادة سريعة الزوال.

شرحت مرلينا بصوت هادىء: «سجلت النغمات الأكثر شعبية التي سوّقها جايك رقم مبيعات بالملايين حول العالم».

- لا بد أنك تمزحين!

ردّت: «لا. الكثيرون يسعون لاستخدام هذه النغمات لأنها تضفي على هواتفهم طابعاً شخصياً، وتسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم. لا تهزؤوا من الفكرة لمجرد أنكم لم تفكروا يوماً في اعتمادها».

إنها تدافع عنه.

أو تهاجم أخويها لأنهما محدودا التفكير.

هل لهذا السبب تركت المنزل وقصدت المدينة، سعياً خلف حياة ذات آفاق واسعة؟

قال جايك بلهجة اعتذار: «لم نكن نحاول انتقادك يا جايك. إذا ما نجح الأمر معك فهذا حسن».

علّق جو بكآبة: «لا بدّ أنك ستجد عالمنا عالماً غريباً».

ضغط جايك على يد مرلينا في حركة تقدير لدعمها له، ثم قال وقد تحسّن شعوره حيال عمله: «إنه عالم مختلف».

ابتعدوا عن مدينة غريفيث وتوجهوا نحو الريف حيث راح الشقيقان يشيران إلى كروم العنب العائدة للأسرة، مطلعين جايك على الأنواع المختلفة التي يزرعونها.

اعتزازهما بما يملكون وبما ينتجون أثار موجة انزعاج في داخل جايك. كانت مرلينا محقة. لقد دخل إلى عالم مختلف، إلى عالم أكثر

صلابة، عالم حقيقي، ملموس، ما جعله يحسدهما فجأة على شعورهما بالانتماء إلى هذا المكان.

لقد ولدا هنا وترعرعا هنا وعملا هنا وربما سيموتان هنا. وخطر لجايك أنها حياة ضيقة الأفق، لكنهما يبديان رضا لم يختبره يوماً. وهو لم يتعلق قط بمكان ما. فأطول إقامة له كانت في مدرسة داخلية، احتمل العيش فيها لكنها لم تكن يوماً بيتاً له بمعنى البيت. المنزل الوحيد الثابت في حياته هو منزل جده في فوكلوز، لكن الزيارة ليست كالإقامة. حتى المنزل الذي يملكه لا تربطه به أيّ روابط عاطفية.

أعلن جو مع وصول السيارة إلى بوابة تسلّقتها قبيلة من الأطفال: «ها قد وصلنا!».

ورأى كلبان يثبان مرحاً خلف الأطفال وينبحان. أخرج جو رأسه من النافذة ليصرخ: «افتحوا البوابة أيها الأولاد».

قفز أحد الفتيان أرضاً ليدفع البوابة ويفتحها فيما بقي الآخرون معلّقين يتمايلون ويصرخون إثارة.

- مرلينا، أصبح لدينا شقيق جديد.

- مرلينا، نريد أن نرى صديقك.

- ليس صديقها بل خطيبها.

- أريد أن أقابله أولاً.

- لا، أنا، أنا، أنا.

- مرلينا، ما رأيك في أن ترافقينا إلى المنزل سيراً على الأقدام؟

صيحات الموافقة على الاقتراح جعلت جو يوقف السيارة ويلتفت نحو المقعد الخلفي ليسأل: «أتودان السير من هنا؟».

فقال جايك وهو يفتح الباب، مستعداً للترجّل: «لا نودّ أن نخيّب آمالهم. هيا بنا».

وبينما استدار حول السيارة، كانت مرلينا قد ترجلت فأحاطت بها مجموعة من الأطفال فيما تسابق الكلبان ليحصلا على تربيتة منها.

www.elromancia.com

لم يمتلك جايك كلباً يوماً، أو أيّ حيوان أليف من أيّ نوع، فتساءل عن شعوره لو استقبل كل يوم بمثل هذه المحبة. كان هذا ليخفف بعض الوحدة التي رافقت مرحلة صباه. هؤلاء الأولاد محظوظون لأنهم ينتمون إلى أسرة كبيرة، مترابطة، يتخالط أفرادها سوياً بسهولة طبيعية، ويمتلكون حس الدوام في محيطهم ما يسمح لهم بتربية الحيوانات الأليفة.

أكمل جو وداني طريقهما بالسيارة وقد ارتاحا من مهمة المرافقة الموكلة إليهم، فيما استمتع جايك بالرفقة الجديدة، مع أسئلة الصبية المرحة وخجل الفتيات الصغيرات والمزاج الحسن الذي يحيط بهم. بدا أنّ مرلينا تحتل مكانة مميزة بين أبناء وبنات إخوتها وأخواتها. ولاحظ أنها لم تملّ منهم، أو تتزعج. كما أنها تستمع إلى كل ما يقولونه باهتمام طبيعي، فتطرح الأسئلة وتعطي الردود التي ترضيهم أو تجعلهم يضحكون.

وتجلّى لجايك أنها ستكون أماً صالحة، وضايقه أن يتذكر أنها تريد أولاداً من صلبها. فهذا جزء من صفقة الزواج بالنسبة إليها في حين أن الفكرة لم تخطر في باله هو قط. وشرع يراقب الأطفال المتجمعين من حوله، محاولاً أن يتخيّل نفسه كأب. هل يرغب فعلاً في لعب هذا الدور؟

لقد رحل والده إلى أوروبا بعد طلاقه من أمه ولم يره جايك منذ ذاك الحين. كان يحسد الأولاد في المدرسة الذين يأتي آباؤهم لحضور المباريات الرياضية التي يشاركون فيها. وخطر لجايك أن الأب يجب أن يتواجد دوماً، ليهتم بما يفعله الأبناء ويشجّعهم. يجب ألاّ يفكر المرء في الإنجاب إلاّ إذا كان مستعداً لذلك، ما يعني تخصيص الكثير من الوقت للأولاد.

أمسكت فتاة صغيرة بسرواله لتلفت انتباهه، ونظرت إليه بعينين كبيرتين، مستغيثتين، ثم قالت ببؤس: «ساقاي متعبتان، فهلاّ حملتني على كتفيك يا جايك؟».

تساءل جايك إن كانت هذه هي روزا، البالغة من العمر ثلاث سنوات قبل أن يجيب: «بالطبع، سأفعل».

ورفعها إلى كتفيه فغلغلت أصابعها في شعره لتتمسك. لم يسبق له أن

حمل أيّ طفل بهذه الطريقة، لكن بدا جلياً أنها تثق به وأنها تجيد الحفاظ على توازنها. لا بد أن والدها منحها هذه الثقة.

علّق أحد الصبية: «إن كنت متعبة جداً يا روزا فلن تتمكني من لعب كرة القدم بعد العشاء».

فقالت بتصميم وهي تشدد على كل كلمة: «بل سأفعل. أنا أحتاج فقط لبعض الراحة».

وعاد يزعجها قائلاً: «على أيّ حال، أنت لم تسجّلي يوماً أيّ هدف».

فأجابته: «هذه الليلة سيساعدني جايك، ولن يدعك تنتزع الطابة مني».

قالت مرلينا وهي تمنحه ابتسامة صادقة: «أظن أن روزا اختارتك كبطل».

رفع حاجبيه يطلب العون: «وما معنى هذا؟».

وسارع الكل ليشرح له الوضع. أعد الجد لهم ملعباً صغيراً لكرة القدم خلف المنزل حيث يحق للكبار أن يلعبوا إنما لا يُسمح لهم بإعاقة الأطفال أو تمرير الطابة أو تسجيل هدف. وهم يلعبون دوماً بعد حفلات الشواء التي تقيمها العائلة. ويقوم أصغر ولدين باختيار فريقيهما، وبالتالي فإن روزا تترأس فريقاً وجينارو الذي يبلغ من العمر أربع سنوات يترأس فريقاً آخر. ولا تشارك النساء في المباراة بل يكتفين بالمشاهدة وتشجيع الفريقين.

قال جايك لمرلينا: «هل أرى بعض التميز هنا؟».

- لا يمكنك تغيير تقاليد العائلة.

- أكنت تشاركين في المباريات في طفولتك؟

- أنا أحمل الرقم القياسي لأكبر عدد أهداف تسجّلها فتاة.

ضحك: «أراهن على أنك كنت كالنمر في الملعب».

- كان الأمر تحدياً.

- وقد واجهته كعادتك بعناد، رافضة الهزيمة.

رمقته بنظرة ساخرة: «أنت تعرفني جيداً».

- لا، لكنني أسعى إلى ذلك.

كاكتشاف خلفيتها، هذه العائلة الكبيرة التي تتوارث العادات والتقاليد جيلاً بعد جيل. إنه عالم ذو قيم مختلفة عن تلك التي اعتادها. لقد تجاوز الإحساس بالخيانة من قبل عائلته حين كان فتى، إلاّ أن هذا الشعور عاد يراوده الآن وبقوة أطلقت الغضب الذي لطالما كبته، الغضب من إهمال والديه له، هذا الإهمال الذي حرمه من كل هذا.

كانت مرلينا محقة.

إنه في غير محله هنا.

حياته كلها تسير في مسار مختلف.

لكن شيئاً ما في داخله تاق لأن يتأقلم مع هذه الأسرة. فالتواجد هنا أشبه بالنظر من فوق السور إلى الحياة التي كان ينبغي أن يعيشها. وآله المشهد كما لم يتوقّع. بدا له اجتياز السور مستحيلاً. هل هو مستحيل فعلاً؟ لعله لا يستطيع أن يغيّر ماضيه لكنه قادر على تحديد مستقبله. ربما إذا رزق بأطفال من مرلينا، فسيتمكّن من اجتياز السور ومشاركتهم عالمهم.

والتفت إلى المنزل الكبير الذي يقتربون منه. إنه منزل ريفي، بشرفات واسعة من حوله. أما الأشجار التي تحيط به فتوفر الظلال وتسمح للأطفال بتسلّقها. لفتته الحديقة بألوانها الوافرة والزاهية المتداخلة مع الخضرة. لم يكن هذا المنزل مبنياً للتباهي بل للسكن... إنه منزل أسرة حقيقي بامتياز.

رأى في أحد جوانب المنزل سقيفة تحوي العديد من السيارات المتنوعة: سيارات رباعية الدفع، شاحنات صغيرة، سيارات عائلية... ولم يلاحظ جايك وجود أيّ سيارة تعكس المستوى الاجتماعي. وخطر له أنّ السبب لا يعود إلى قلة المال، فالملكيات المماثلة تساوي على الأرجح ثروة. هؤلاء الناس لا يحاولون إبهار الآخرين ولفت الأنظار

إليهم ما هم عليه... أسرة روسي.

عائلة مرلينا.

كان جو داني يقفان على الشرفة قرب الباب الرئيسي، يراقبان تقدّمهما. وسرعان ما انضم إليهم شقيق ثالث.

قالت مرلينا: «هذا ماريو، والد الطفل الجديد».

وخرج والدها من المنزل ووقف عند أعلى السلالم الأمامية ليرحب بهما. أصدر أوامره: «هيا أيها الأولاد، ابتعدوا الآن. سأرافق جايك ومرلينا لمقابلة الجدة».

أطاعه الأولاد على الفور ومن دون أيّ نقاش. رفع جايك روزا عن كتفيه ووضعها أرضاً فشكرته الطفلة ولحقت بالآخرين بعد أن استعادت نشاطها وحيويتها.

علّق داني مع ابتسامة عريضة: «يبدو أن ابنتي تمكنت من أن تسحرك يا جايك».

ضحك أنجيلو روسي وهو يصافح جايك مرحّباً: «روزا الصغيرة طفلة جميلة. لكن انتظر حتى ترى حفيدي الجديد، فسترغب في أن تُرزق بصبي مثله تماماً».

اعترضت مرلينا: «أبي، نحن لم نتزوج بعد».

- وإن يكن؟ ما معنى الزواج من دون أطفال؟ أنتما الاثنان سترزقان بأطفال رائعين.

وخطر لجايك أنّ هذا متوقع منه، وليس من قبل مرلينا فقط. هل هو مستعد لذلك؟ جدياً؟ الارتباط بهذه الأسرة الكاملة جزء من الزواج بها. لقد أنذرته وحذّرته، وشعر بتوترها يتصاعد فيما قامت بتقديمه لماريو وراح يبذل قصارى جهده ليهنئه على ولادة طفله.

قاده أنجيلو في ممر طويل أدّى إلى مطبخ كبير، لا بل أكبر مطبخ رآه جايك، مع أوانٍ نحاسية وسلال تتدلى في كل مكان وطاولة كبيرة في وسطه تعلوها سلال الخبز وأوعية السلطة. بدت الغرفة مزدحمة بالنساء

اللواتي رحن يتأملنه باهتمام شديد.

صفّقت إحداهن باستحسان مرح، وفتحت ذراعيها لتضمه إلى صدرها وتقبّله على خدّيه.

قال أنجيلو بفخر: «هذه زوجتي ماريا، والدة مرلينا».

صرخت ماريا: «أهلاً وسهلاً بك! أهلاً وسهلاً! كنت قد بدأت أفقد الأمل في أن تختار مرلينا يوماً زوجاً لها وأنت...».

تذمّرت مرلينا: «أمي».

تجاهلتها ماريا وربتت على خدّيه مضيفة: «أنت رجل وسيم...».

وجد جايك القدرة الكافية ليقول: «لديك ابنة جميلة».

أطلقت سراحه لتصفّق مجدداً: «هذا مثير للغاية!».

بعدئذ، تمالكت نفسها واستدارت نحو النساء الأخريات لتعرّضه لمزيد من العناق والقبلات فيما هي تقدّمه لعمّات مرلينا وخالاتها وأخواتها وزوجات أخوتها. وأخذ الترحيب به في كنف الأسرة وأحضانها معنى حرفياً، مادياً. واعتاد الأمر مع وصوله إلى آخر امرأة فاستسلم بسعادة لهذا العناق الأنثوي الصادق. بدا له الأمر جيداً، ومختلفاً للغاية عن القبل التي يرسلها أفراد مجتمع سيدني الراقي إلى بعضهم البعض عن بعد.

جرّته جينا، التي أنجبت حديثاً، إلى سرير صغير لتريه ابنها وقالت: «إنه نائم الآن لكني سأدعك تحمله عندما يستيقظ».

تكلّمت بنبرة طبيعية وكأنه سيرغب من دون شك في ذلك. لكن جايك لم يكن واثقاً من رغبته في ذلك. فهذا أصغر مخلوق رآه يوماً، لكن وجهه الصغير بدا محبباً للغاية وقد أحاطت به كتلة من الشعر الأسود المشعث. وأفضل ما تمكّن من قوله هو: «أرى أنه سيتمتع بشخصية مميزة».

بدا أنّ تعليقه سرّ جينا والنساء الأخريات اللواتي ضحكن تعبيراً عن موافقتهن. رمق مرلينا بنظرة فلاحظ نظرة اليأس في عينيها. وخطر له على الفور أنها لا تعتقد أنّ هذه الخطوبة ستستمر وتنتهي بالزواج بعد هذا

الضغط كله من عائلتها. كانت تلهو بخاتمها وتديره يميناً ويساراً وكأنها تفكر فعلاً في خلعه.

وجاء ردّ فعله سريعاً ومن دون تردد، فتحرك على الفور ليحيط كتفيها بذراعه ويوقف الحركة القلقة برفع يدها اليسرى وعرض خاتم الياقوت والألماس على النساء قائلاً بابتسامة عريضة: «لم تعتد مرلينا على وضعه بعد. أريد منكن أن تقلن لها كم يبدو رائعاً في إصبعها علّ توترها يخف».

قالت أمها وهي تتقدم منها بسرعة لتعاينه بشكل أفضل: «مرلينا! إنه جميل!».

ضحك أنجيلو وقال: «اترك مرلينا للنساء يا جايك. حان الوقت كي نشعل نحن الرجال النار ونشوي عشاء الأولاد».

قالت له ماريا: «نعم، نعم، اللحم جاهز على الصينية يا أنجيلو. فاخرجا من هنا».

وأدرك جايك أن ما من خيار آخر أمامه.

عليه أن يفعل ما هو متوقع منه.

وفيما لم يفكر ملياً في ما يتضمّنه الزواج من مرلينا روسي، إلاّ أنه كان واثقاً من أمر واحد.

لم يكن يرغب في أن تخرج من حياته.

ليس في هذه المرحلة، وربما ليس في مرحلة لاحقة.

إذ بدأت تمثّل كافة الأمور الجيدة التي افتقدها.

١٣ - غداً... يوم آخر

راقبت مرلينا جايك وهو يرافق والدها ويخرجا من المطبخ، وقد أدهشها أن يعيد تعزيز ارتباطهما عبر لفت انتباه أسرتها إلى الخاتم، الذي أصبح محط الأنظار والإعجاب حتى وهي تحاول أن تفهم تصرفاته.

لِمَ فعل هذا؟

علمت أن داني وجو ضايقاه بتعليقاتهما عن عمله، ثم زادا الطين بلّة بحديثهما عن عملهما الخاص. لقد شعرت بانزعاجه وبانسحابه الذهني، رغم أنه كان مهذباً بما يكفي لكي يخفي ذلك ويستفهم بلطف عن زراعة العنب، مدعياً أن أرقام المبيعات التي يسجلونها أثارت إعجابه.

بدا أنّ التفاف الأولاد من حوله لم يزعجه. كما أنّ عادة لعب مباراة كرة قدم بعد حفل الشواء سلّته لكنها كادت تموت حين راح والدها يتحدث عن إنجاب الأطفال. وفي حين أن لا مفر من هذا الموضوع، فهي تريد أن تصبح أماً، إلاّ أنها لم تشأ أن يثار الموضوع بهذه الصراحة مع جايك... وتخيّلت فكرة الزواج منها تنتقل مباشرة إلى حلزونة الموت.

بعدئذ، تشنّجت كتفاه عندما احتضنته أمها، غازية بذلك مساحته الشخصية كقطار سريع. وقبيل ذلك، لاحظته يتأمل النساء في المطبخ، ولعله كان يقارنهن بالنساء المحنكات اللواتي اعتاد عليهن. وكادت تسمع الأسئلة التي يطرحها على نفسه...

هل ستصبح مرلينا بهذا الحجم الضخم بعد سنوات قليلة؟

هل هذا ما يحصل عندما ترزق النساء الإيطاليات بالأطفال؟

على كل واحد بالطبع أن يمرّ بتجربة العناق/ القبل وقد تمكن جايك

من أن يجتاز الامتحان. وبالنسبة إلى رجل اعتاد على النساء النحيلات، فقد تقبّل عناق هؤلاء النسوة اللواتي تباين حجم إحداهن عن الأخرى بتقدير لهذا الاستقبال الكريم ما جعل مرلينا تشعر نحوه بالامتنان. في الواقع، لم يخطُ أي خطوة خاطئة رغم وجوده في أرض غريبة.

لكن ما يفكر فيه مختلف تماماً وشعرت مرلينا بضغط التساؤل عما يدور في خلده، وفي قلبه. لاسيّما حين أجبرته جينا على أن يتأمل ابنها. ومع تعليق والدها عن الطفل، لا بدّ أن عقل جايك راح يدور ويفكّر في الواجبات والمسؤوليات المرتبطة بالزواج من أسرة روسي.

ولعلها المرة الأولى في حياته التي يرغب فيها بالفرار من غرفة مليئة بالنساء، علماً أن التواجد مع الرجال سيشكّل أيضاً لحظات مربكة. هل توقّع منه أحد في يوم من الأيام أن يساعد في شيّ اللحوم؟ كان الأمر بالنسبة إلى مرلينا أشبه بالفرار من المقلاة بالقفز في النار مباشرة.

كما لم تشعر هي أيضاً بالارتياح. إذا اضطرت لرسم ابتسامة سعادة على وجهها فيما هي تعرض الخاتم المرصع بالماس والياقوت وترد على سيل من الأسئلة عن جايك وعن ارتباطهما. لقد تسارعت الأمور وشكّت في أن يكون جايك قد خطا خطوة الزواج هذه من دون أن يعتبرها خطوة جدّية.

وفي خضم هذا الاضطراب العاطفي، اقترحت عليها سيلفانا أن تساعدها في تحضير أطباق المقبلات، راغبة من دون شك في أن ترضي فضولها الشخصي. لقد نجحت العملية الأخيرة التي أجرتها لعينيها ولم تعد تضع نظارات.

قالت بخبث: «الآن فهمت لما غيّرت تسريحة شعرك وارتديت مثل تلك الملابس غير المحتشمة».

- كان هذا جزءً من العمل يا سيلفانا.

ما ذكّرها بأن فكرة البحث عن عمل جديد غابت عن بالها كلياً وأنّ عليها أن تتخذ قريباً جداً بعض القرارات حول مستقبلها.

عنّفتها سيلفانا: «هيا! رجل رائع كهذا! أراهن على أنك وقعت في غرامه على الفور وكنت مستعدة لفعل أيّ شيء لإرضائه».

أوشكت أن تقول إنّ الأمور لم تسر على هذا النحو، لكنها عادت وابتلعت كلماتها، مدركة أن كلام أختها يتضمن بعض الحقائق: «لعلك محقة. انجذبت إليه منذ البداية».

فقالت سيلفانا باعتداد: «ومن لا يفعل؟ ولا بدّ أن العمل معه بصفتك مساعدته الشخصية أعطاك فكرة دقيقة عنه وفرصة أكبر. فما من شيء يضاهي الاحتكاك الدائم للفت انتباه الرجل».

رحيلها من العمل هو الذي دفع جايك لملاحقتها فضلاً عن غضبه وانزعاجه من ارتباطها بجده. لقد دُفع إلى ملاحقتها، واستغلت هي الفرصة بسبب إحباطها من تصرفاته. أرادا أن يربحا، إنما كان عليهما أن يمعنا النظر في معنى الانتصار والربح في حال جاءت النتيجة غلطة فظيعة.

وتابعت سيلفانا الضغط: «متى ستتزوجان؟».

- لا أعلم. لم نتحدث في الموضوع بعد.

- ستود الوالدة أن تعلم. لا يمكنك ألاّ تقيمي حفل الزواج هنا.

أزعجها ضغط أختها المتواصل فصرخت بها: «توقفي عن فرض القوانين عليّ. لن تقيّديني يا سيلفانا. إنها حياتي وحياة جايك وسنتزوج عندما نرغب في ذلك».

ساد الصمت في المطبخ وتوقف العمل فيما التفتت الأنظار إليها... إلى الثائرة التي غادرت العش، بدلاً من أن تستقر بين أفراد الأسرة كما فعل الجميع.

شرعت الأم تقول وهي تنظر إلى ابنتها المتمردة بقلق: «مرلينا...».

قالت معبّرة عن قلقها المكبوت: «ماما، أنا لست واثقة حتى من أنني أريد أن أتزوجه».

قطّبت والدتها وسألت: «لكنك تحبينه، أليس كذلك؟».

- هذه ليست المشكلة!

- لقد اهتممت بحياتك المهنية طويلاً يا مرلينا، وأنت قلقة من أن تصبحي زوجة.

تمسّكت بهذه القشة، بعد أن شعرت بأنها تغرق في هذا الوضع: «نعم، نعم، فعلاً».

هزت أمها رأسها: «لهذا السبب بدا جايك قلقاً من فكرة عدم احتفاظك بخاتمه».

- لا أعلم يا أمي. لقد... لقد فاجأني به.

- إنه رجل جيد يا مرلينا ووالدك يحبه. امنحيه بعض الوقت. لن ندفعك إلى التخطيط.

واكتسحها الارتياح: «شكراً يا أمي. فأنا لست مستعدة للتخطيط».

- أنت تبالغين في التفكير يا مرلينا. يجب أن تتبعي قلبك مع جايك.

وسرت همهمات الموافقة في المطبخ. واكتسح مرلينا سيل من التعليقات عن مباهج الزواج والأمومة، وعن الراحة الناتجة عن وجود رفيق يشاركك أفراحك وأحزانك... الخ... وتحوّل الاجتماع إلى حفل مديح للزواج لم يتوقّف إلا عندما بدأت بإخراج الطعام المحضّر إلى الشرفة الخلفية حيث وضعته على طاولة كبيرة بانتظار أن ينتهي شيّ اللحم.

حاولت مرلينا أن تعمل بنصيحة أمها وألاّ تكثر التفكير. إلاّ أنها لم تندم على ثورتها في المطبخ، إذ أصبحت أسرتها على علم بأنّ هذا الارتباط قد لا يدوم، كما لن يُعرض على جايك مجموعة من الخطط لتنظيم الزفاف. في الواقع، بدا أنّ أمها تحدّثت على انفراد إلى أبيها عن أعصاب ابنتهما العزباء.

بدا أنّ اندفاعه خفّ نسبياً على العشاء، وعندما حان وقت شرب نخب الطفل الجديد والخطيبين، لم يذكر أنه يتطلع قدماً لمزيد من الأحفاد كما لم يقترح وضع خيام لحفل الزفاف في ملعب كرة القدم.

وحاز جايك على الاهتمام والرعاية. أما مرلينا فعوملت بحذر.

يبدو أن والدها لا يرغب في أن تتحوّل ابنته الفارّة إلى عروس فارّة.

بدا جايك في مزاج حسن، إذ راح يبتسم ويضحك ويشارك في الأحاديث العامة، مصغياً بانتباه إلى ما تقوله الأسرة. أما تحت الطاولة، فكانت ساقه تلتصق بساقها ليعلمها بصمت بمدى شوقه إليها. ودّت لو تجلس معه على انفراد وعلمت أنها لا ترغب في التخلّي عما لديهما، لكن إن لم يكن الزواج بالمعنى الحقيقي للكلمة يناسبه، فعليها أن تقطع علاقتهابه.

وبعد العشاء، اختار روزا وجينارو فريقيهما وتحرك الجميع نحو الملعب لبدء المباراة. كانت النتيجة تعادلاً بثلاثة أهداف للفريقين في الشوط الثاني حين أمسك جايك بالطابة ومررها إلى روزا التي كانت تنتظر وكلها أمل في موقع جيد قرب مرمى الفريق الآخر، ركض اثنان من الصبية ليأخذا الطابة منها لكن جايك قطع عليهما الطريق ورفعهما على كتفيه فيما راحا يقاومان للتخلص من قبضته.

ومنح هذا روزا الوقت اللازم لتدفع الكرة وتركلها فتصيب شباك الفريق الآخر. وفي غمرة سرورها لتسجيلها هدفاً، رفعت بلوزتها إلى الأعلى ثم مدت ذراعيها نحو الأعلى وراحت تركض وهي تصرخ وكأنها فازت لتوها ببطولة العالم. غرق الكل في الضحك وتخلوا عن اللعب بعد أن رأوا أنّ ما من هدف آخر يمكن أن يماثل هذا أو يتفوّق عليه. أما جايك، بطل روزا، فحملها على كتفيه ودار بها احتفالاً بهذا الانتصار.

أعلنت روزا: «سأختارك دوماً ضمن فريقي يا جايك».

وخطر لمرلينا أن «دوماً» كلمة كبيرة أخرى.

ردّ جايك: «سأحاول أن أكون هنا من أجلك يا روزا، لكني قد لا أتمكّن من حضور حفلات الشواء العائلية كلها، فسيدني بعيدة جداً».

نعم بعيدة وكأنها في عالم آخر.

ولا بد أن يدرك جايك هذا كما تفعل مرلينا، لكنه ابتسم لها وقال وكأنه يعني كلامه: «كان هذا مسلياً».

أرادت بشدة أن تحظى به لنفسها قليلاً، فيمضيان بعض الوقت معاً

بحيث لا يضطر إلى الاستمرار في التظاهر بأنه يمضي وقتاً مسلياً مع عائلتها. إن كان يتظاهر فعليها أن تعلم، فهي لا تستطيع احتمال هذا التشوّش أكثر. إن مواجهة الحقيقة أفضل بكثير، حتى وإن كانت مؤلمة.

وبما أنّ يوم الغد هو يوم دراسة، انتهى الحفل في وقت باكر نسبياً كي يتمكن الأولاد من الحصول على قسط من الراحة. انتهى هذا اليوم الطويل، وصبغ الشفق السماء بلون أرجواني جميل. وساهم الكل في جهود التنظيف قبل أن يغادروا. لم يطل الوداع مع أنّ الجميع عبّروا عن فرحتهم وسرورهم للقاء جايك وتمنوا له ولمرلينا السعادة معاً. تشنّج وجهها لشدة ما حاولت أن تحافظ على ابتسامتها العريضة، وتساءلت إن كان جايك يتمنى رحيلهم بقدر ما تتمناه هي.

ومن سخرية القدر أن أمها قررت أن تلعب دور كيوبيد، إله الحب، فقالت فيما كانوا يقفون على الشرفة الأمامية، يلوّحون لآخر السيارات المغادرة: «لِمَ لا تأخذين جايك في نزهة إلى الكروم قبل أن يحل الليل يا مرلينا؟».

فاجأها أن والدها ساند هذا الاقتراح، وقال موجهاً حديثه إلى جايك: «لم تعد الكروم مزهرة حالياً، لكن النزهة لا تزال جميلة. لن يتسنى لكما الوقت لزيارتها غداً صباحاً، إذ عليكما أن تصلا إلى المطار قبل نصف ساعة من موعد إقلاع طائرتكما عند الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة».

شبك جايك ذراعه بذراعها، وقال بلهفة وقد التمعت عيناه لهذه الفرصة: «فلنذهب».

وسارعت أمها تقول: «لن ننتظركما يا مرلينا. أنت تعرف غرفتك يا جايك، أليس كذلك؟».

- نعم، شكراً لك. أراني إياها داين في وقت سابق.

- حسن، أتمنى لكما نوماً هنيئاً.

ردّت مرلينا بسرعة: «شكراً يا أمي. تصبح على خير يا أبي».

فقال والدها وهو يحتضن أمها ليتوجها معاً إلى داخل المنزل: «ليت الشباب يعود، أليس كذلك يا ماريا؟».

فردّت بنبرة حملت معنى مبطناً ماكراً: «تظن أنك لا تزال شاباً يا أنجيلو».

ضحك جايك لهذا التلميح فيما قادته نحو الجهة الجنوبية للمنزل، الجهة المقابلة للكروم. سألها والضحكة لا تزال في صوته: «كم يبلغ عمر والدك؟».

- أربع وستون سنة.

ضحك مجدداً وعلّق: «جدي يظن أنه لا يزال شاباً وهو في الثمانين».

وحرّك ذكر جدّه عش دبابير في ذهن مرلينا، فقالت على الفور: «ثمة فرق واحد كبير. فوالدي مخلص لوالدتي وهو لن يتركها يوماً من أجل امرأة أخرى».

وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تضيف موضحة رغبتها وحاجتها: «أريد أن يكون شعور زوجي حيالي مماثلاً لشعور أبي يا جايك».

قال بسهولة وكأن الأمر لا يعنيه شخصياً: «أفهمك».

سارا في الدرب المؤدية إلى الكرم. حاولت مرلينا أن تكظم غيظها من رده لكنها لم تتمكن من كبح رغبتها في الكلام طويلاً، فقالت بحماسة: «لا أريد أن أتزوج فيما شرط الطلاق مسلط كالسيف فوق رأسي».

وجاء الرد المغيظ: «أتفهّم هذا أيضاً».

لم يأت هذا الرد بشيء إيجابي بالنسبة إليها وفقدت الأمل في أن تستمر علاقتهما مهما كان نوعها. فهذه العلاقة ستمزّقها في النهاية لأنها تريد ما لدى والديها وإخوتها وأخواتها فيما جايك غير مستعد للالتزام بهذا الطريق.

أجبرت نفسها على أن تقول: «من الأفضل أن نوقف هذا في الحال».

كلماتها هذه حطّمت فؤادها لكنها شعرت بحاجة ملحة لأن تقولها.

- نوقف ماذا؟

جمدت في مكانها بعد أن رفضت قدماها التحرّك بسبب عدم إحساسه هذا الذي يثير الحنق. سحبت يدها من يده واستدارت لتواجهه. وبالرغم من أنّ الشفق ما زال يضيء السماء، إلاّ أن النباتات المتعرشة فوقهما جعلت المكان مظلماً ما حال دون قدرتها على قراءة التعبير المرتسم على وجهه.

- لقد قابلت أسرتي وأصبحت تعرف ما هم عليه وأنا واحدة منهم. لذا، لا تدّعي أنك ما زلت تريد أن تتزوجني.

وقف وقفة مستقيمة وشعرت بأنه ينظر إليها نظرة جادة. سألها بهدوء: «لِمَ تظنين أنني أدّعي؟».

صرخت وهي تلوح بيديها راسمة الصورة التي تفسّر إصراره: «لأنك لم تتم ربحك لما تريده. تريد أن تبقي على علاقتك بي، وتريدني أن أعود إلى العمل معك. رتّب حياتك كما يحلو لك».

- أهذا هو رأيك بي؟

عكست نبرته شعوراً بالألم ما زاد من استيائها.

- إنها غلطتي. أعلم أنها غلطتي. لقد جلبت هذا على نفسي، بمشاركتي في تلك اللعبة السخيفة والغبية مع جدك. أنا آسفة لأني فعلت هذا. آسفة لأني بدأت بدحرجة كرة الثلج هذه. كان عليّ أن أرحل بدلاً من...

أكمل جملتها كتقرير لأمر واقع: «بدلاً من أن تخرجي من قالب الحلوى لتتحديني وتتحدي أسلوب حياتي كزير نساء».

- نعم.

شعرت بالارتياح لأنه فسّر الوضع بشكل سطحي، ولم يبحث بعمق ليكتشف دوافعها... ليكتشف رغبتها الجنونية في أن تجعله يرغب فيها ويندم على أنه لم يفكر فيها قبل فوات الأوان وخروجها من حياته.

- وقرارك الزواج من جدي؟ أكان محاولة لإغاظتي أيضاً يا مرلينا؟

هزّت رأسها بألم معترفة بذنوبها: «ما كنت لأتزوج بايرون أبداً.

رد... ردود فعلك على إنكاري أيّ علاقة لي بك سلّته وأضحكته، فأراد أن يستمر باللهو ليرى كيف تتصرف. بدا جلياً أن ثمة... مسائل... عالقة بيننا، و...».

- وجاريته في خطته لأن...

- لأني أردت...

لم تستطع أن تنطق بالكلمة. منعتها كبرياؤها من الاعتراف بأنها أحبته منذ وقت بعيد، وأنها تاقت لأن يدرك أنه يحبها أيضاً. لكن الأمر لم يكن على هذا النحو، فالرغبة لا علاقة لها بالحب الأبدي. وشدّدت بعنف على الكلمات التي استخدمتها: «نعم، أردت أن أغيظك. خدعتك، واحتلت عليك وسخرت منك... لهذا السبب، رحيلك الآن مبرر جداً. لننهي المسألة الآن. أرجوك؟».

غمغم وهو يتقدم منها ويضم جسدها إليه: «أيتها الكاذبة الصغيرة! أردتني أن أهتم، أن آتي إليك. أردت هذا!».

وعانقها بشغف غاضب، تدفعه إليه رغبة في السيطرة عليها وفي جعلها تستسلم قلباً وقالباً.

وتجلّى غضبها بتجاوب شرس فيما راح عقلها يصرخ بها بأن ما تفعله خطأ، لكنها لم تستطع أن تكبح مشاعرها أو أن تبتعد عن هذا الرجل الذي سيطر على حياتها.

همس: «لا يمكنك أن تنكري هذا التجاذب بيننا يا مرلينا».

لا، لا يمكنها ذلك، لكنها أرادت بشدة أن تسمع كلاماً من نوع آخر. وبتنهيدة ثقيلة، أخفت وجهها في عنقه تتنشق عطره، متمنية لو ينتميان إلى بعضهما البعض بكل ما للكلمة من معنى.

وتابع يقول بنبرة ساخرة: «أما بالنسبة إلى ارتباطك بجدي، فأدركت أنه مجرد خدعة بمجرد أن التقيت أسرتك بعد ظهر اليوم. من المستحيل أن تقدّمي جدي لهم على أنه عريسك. أنا مقبول أكثر كصهر».

سخرت منه: «هذا لأنك بذلت جهداً كبيراً. أنت لا تتناغم مع

عائلتي، على المدى الطويل...».

ثم رفعت رأسها ونظرت إلى عينيه مباشرة وتحدّته قائلة: «... لكنك لا تفكر في المدى الطويل، أليس كذلك؟ كل ما فعلته منذ جئت إلى منزل جدك تلك الليلة... يتعلق بالفوز والانتصار، تسجيل الهدف. إلاّ أن هذه اللعبة ينبغي ألاّ تصل إلى حدّ الزواج لأن هذا يعني أن اللعب غير عادل. على الأقل بالنسبة إليّ يا جايك. ولهذا ينبغي أن نتوقف».

لم يسارع للإجابة. وشعرت به مرلينا يقيّم حجّتها فيما عيناه لم تفارقا عينيها وقد بدا مصمماً على أن يصل إلى ما هو أبعد من رأيها فيه، ليجد نقطة ضعف تمكّنه من مهاجمتها. رفع يده وأبعد غرّتها بلطف عن جبينها وكأنه يريد أن يجد طريقه نحو عقلها.

قال بنبرة هادئة: «أحب عائلتك يا مرلينا. أحب العلاقة التي تربطكم ببعضكم البعض. إنها جيدة. لِمَ انفصلت عنهم وابتعدت؟ لِمَ اخترت العمل في سيدني؟».

سؤاله هذا فاجأها فردت من دون تفكير: «أردت أن أعيش حياتي على طريقتي. بدا لي أفق العيش هنا ضيقاً جداً، محدداً جداً. في مراهقتي كنت أجد الحياة هنا سخيفة ومحبطة».

- أردت أن تطيري بجناحيك.

- نعم.

- لكنك لم تكملي الدورة يا م !

لديهم... الروابط الأ

الاهتمام »!!

ف ..

كانت تعلم أنّ هذا مستحيل. فهو ليس إيطالياً، وحياته الأسرية مفككة، ما جعله يفقد الثقة في أيّ ارتباط وفي استمراريته. واستنتجت أنه حاول طوال حياته أن يتجنّب أيّ ارتباط جدّي وعميق بأي كان.

على أيّ حال، لن يتعرض لأيّ نكسة عاطفية إذا ما أبقى مشاعره مكبوتة، ومضبوطة، وهذا ما اعتاد أن يفعله. وها هو يتعرّف الآن إلى عائلتها التي لا تتردد في إظهار عاطفتها والتعبير عنها، عائلتها التي يعتبر كل فرد فيها نفسه معنياً بالآخرين. هذا التناقض بين الطرفين جعلها تتساءل كيف تمكن من أن ينسجم معهم كما فعل.

قالت بصدق: «عليّ أن أقول إنك واجهت التحدّيات بنجاح. وأنا ممتنة لك لأنك... لأنك جعلت الأمسية أمسية سعيدة يا جايك. أعلم أنها كانت مصدر توتّر في بعض الأحيان».

- في البداية فقط يا مرلينا. تطلّب الأمر مني بعض الوقت لأقدّر صلابة ما نشأت عليه. ويمكنني الآن أن أقدر قيمة ما تسعين إليه.

- لكن هذا الدرب ليس دربك؟

عكست كلماتها مدى حزنها. واغرورقت عيناها بالدموع فأشاحت بنظرها عنه لئلا يرى دموعها أو يشعر باليأس الذي تخفيه. عادت تنظر إلى البيت الذي يمثّل البيت الذي تود أن تبنيه مع جايك، فتسارعت دقات قلبها حزناً.

قال بنعومة: «أنا هنا معك، حيث أريد أن أكون».

حتى الساعة!

- ولا أريد أن ينتهي ما بيننا.

ليس الآن، فالملل لم يساورك بعد!

- وأنت أيضاً يا مرلينا لا تريدين هذا.

ومنعتها الغصة في حلقها من أن تتكلم.

أمسك بذقنها وأدار وجهها نحوه مجدداً. أخفضت مرلينا أهدابها بسرعة لئلا يرى الحقيقة في عينيها ورغبتها الشديدة في ألاّ ينتهي ما

بينهما. عزز هذه الحقيقة بعناق بدا كالحب، عناق آسر بنعومته واهتمامه ما جعل أيّ مقاومة خياراً مستحيلاً.

لم تبالِ إذا كان هذا جزءً من لعبة - مخطط وضعه جايك بهدف إبقائها مرتبطة به في المستقبل القريب على الأقل. أرادت أن تنغمس في الشعور الذي يثيره... حبه لها ورغبته فيها. يمكنها أن تسمح لنفسها بهذا القدر منه ولو الليلة. غداً، عندما يعودان إلى سيدني، ستنفصل عنه.

غداً... عندما ستتمكن من التفكير بشكل واضح ومنطقي مجدداً.

www.elromancia.com

١٤ - وخرج من حياتها

أوصلهما والدها إلى المطار في سيارته الألفا المحبوبة. قال لجايك بشكل محدد: «إنها سيارة عائلية جيدة جداً».

لا يزال الأطفال في بال أنجيلو روسي، ما جعل هذا الموضوع يشغل بال مرلينا مجدداً.

جلست والدتها قرب والدها بعد أن قررت مرافقتهم رغم أنّ الوقت مبكر جداً. بدا تصرفها هذا دعماً جلياً لهذا الزواج كي يكتمل. وعند وصولهم إلى المطار، احتضنت مرلينا وهمست لها: «احتفظي بهذا الخاتم يا مرلينا وعالجي المشاكل مع جايك. فأنت لم تعودي شابة».

ما يعني أن جايك قد يكون أملها الأخير لتلعب دور المرأة الحقيقي والمناسب.

واحتضنته هو أيضاً، فلم يكتفِ بالخضوع مسروراً وحسب بل قبّل والدتها على خدّيها، معتمداً الطريقة الإيطالية من دون أيّ مشكلة.

ناشدته: «ستعتني بابنتي يا جايك، أليس كذلك؟».

فوعدها: «سأفعل يا ماريا».

لقد منح والداها مباركتهما لهذا الاتحاد، ما أقنع مرلينا بوجوب إعطائه مزيداً من الوقت، وبعدم الاستعجال في اتخاذ قرار قطع العلاقة. الليلة الماضية قال جايك إنه لا يرغب في إنهاء علاقتهما. لعله يحبها لكنه لم يدرك ذلك بعد. ودّت لو تكون الأمور على هذا النحو... ودّت ذلك إلى حدّ أنها لا ترغب في إدارة ظهرها له في هذه المرحلة.

وعندما ارتفعت بهما الطائرة، في طريق العودة إلى سيدني، التفتت إليه

وقالت: «سأعود للعمل معك يا جايك».

ارتسمت على وجهه ابتسامة سرور: «عظيم!».

ومدّ يده ليمسك بيديها مضيفاً: «لا يمكن لأحد أن يحلّ مكانك يا مرلينا. المساعدة المؤقتة التي اخترتها تمكنت من إثارة أعصابي سريعاً».

- إنها شقراء نحيلة.

- فجأة، أصبحت أهوى النساء ذوات الشعر الداكن، والجسم الممتلىء.

رفعت حاجبيها: «إنه تغيّر جذري يا جايك».

تراقصت عيناه مكراً: «لقد ولدت من جديد. أو لأكون أكثر دقة، شعرت بالحياة من جديد، وهو شعور جيد جداً. في الواقع، بالكاد أستطيع أن أنتظر لأختبر الأمر مجدداً».

حاولت أن تغيّر الموضوع، فقالت: «أتعلم أني لم أقابل أصدقاءك أبداً، كما لم تقابل أنت أصدقائي».

اقترح وقد سرّه أن يجاريها: «حسناً، سنظهر على الساحة الاجتماعية في نهاية الأسبوع المقبل. حاولي أن ترتبي الأمر مع أصدقائك وسأحاول أن أتصل بأصدقائي لنجتمع في ما تبقّى لنا من وقت».

تبقّى من إجازتها حوالى أربعة أسابيع، لكن إذا ما استغلتها فهذا يعني أن تبقى بعيدة عن جايك معظم الوقت. ابتسمت له: «لن أعود إلى العمل قبل الأسبوع المقبل. سأنقذك من التعامل مع بديلتي وإن كنت ستضطر لدفع تعويض مالي لها».

أعلن بنبرة ارتياح: «ما من مشكلة! كما يمكنني أن أتصرف معها بشكل متمدن بعض الشيء إذا ما اقتصر الأمر على بضعة أيام. ما الذي تنوين فعله خلال هذا الأسبوع؟».

بدا غريباً أن يتحدّثا عن نشاطات لا تتعلق بالعمل، فهي لم تفعل هذا قط من قبل. على أيّ حال، لم يمر يومان كاملان على انتهاء علاقتهما المهنية البحتة كموظفة ورب عمل، كما أن لقاء عائلتها شغل معظم هذا

الوقت. وها هما الآن وحدهما، يتوجهان نحو أرضٍ مجهولة.

هل ستتناغم حياتاهما بسهولة أم سيواجهان عقبات عدة تجعل المشاركة صعبة؟

نصحتها أمها بأن تمنح ارتباطهما بعض الوقت، وأن تعمل على معالجة المشاكل.

كانت عائلتها عقبة كبيرة لكن جايك نجح في تجاوزها. وقالت مرلينا لنفسها إنّ عليها أن تنفتح على تجارب مختلفة أيضاً ولاّ تصدر أحكاماً مسبقة على طرق التسلية التي يختارها. ما من خطأ في أن يتسلّى المرء بمواجهة التحديات، فهي تستمتع بمواجهتها بقدر جايك.

في الواقع، وسّعت علاقتها به آفاق حياتها أكثر مما كان ليحصل لو طارت بجناحيها وحدها. لقد أفادها من نواحٍ عديدة، فدفعها للاستمتاع بكامل طاقتها، ما منحها ثقة كبيرة في قدرتها على النجاح في كافة الميادين كما أنقذها من الوقوع في مشكلة مع أهلها، بعرض الزواج أولاً، ثم بتجنّب أيّ خطأ في حفل الشواء إذ تجاوز اللحظات المربكة والمحرجة وسحر الكل بشخصيته. وهذا يعني أن عائلتها لا تشكّل عائقاً أمام علاقتها به. كما أنه أحب التواجد معهم، ما أراحها إلى حدّ كبير.

في الواقع، لم تكرهه يوماً، فشعورها نحوه مجرد إحباط من مقاربته العابثة لكل ما يدور حوله، بما في ذلك هي.

لكنه لا يلهو بها الآن، وهي تحبه بكل ذرّة من كيانها. إنها تحبه لكل ما فعله من أجلها، تحبه لكرمه، ولتحدياته الاستفزازية، وحتى ميله الفظيع إلى الإزعاج.

إلاّ أنها تحتاج لجواب على مسألة الأطفال التي تهمها كثيراً. لم يعطها جايك الرد الذي ترغب في سماعه، بل قال إنه يتفهم رغبتها في تكوين أسرة، لكنه تهرّب حتى الساعة من أيّ التزام بالأبوة. هل الوقت مبكر لإثارة هذا الموضوع؟ ما يربطهما الآن جديد جداً. ربما عليها أن تمنح هذا الموضوع الحساس بعض الوقت أيضاً.

ما إن حطت الطائرة في ماسكوت حتى اتجها سريعاً نحو مرآب السيارات ليخرجا الفيراري ويتوجها نحو شاتشوود. وجودهما معاً في السيارة الرياضية، بعيداً عن الناس، أشعرهما بالحميمية. ولم تستطع مرلينا أن تمنع نفسها من استراق النظر إلى يديّ جايك اللتين تتحكمان بالمقود وتعدّلان السرعة.

لم ينطقا بأيّ كلمة.

عندما توقفت السيارة عند الإشارة الضوئية الحمراء، رمقها جايك بنظرة ذابلة عكست بوضوح ما يتوقّعه وينتظره. وخطر لمرلينا أنّ عدم الحاجة إلى ادّعاء عدم المبالاة أمر رائع، فمشاعرهما حقيقية ومتبادلة.

ركن جايك السيارة قبالة شقتها، فسارعت للترجّل حاملة مفتاحها بيدها. أخرج جايك حقيبتها من صندوق السيارة ولحق بها فيما كانت تفتح الباب. وضع الحقيبة في غرفة الجلوس وأقفل الباب قبل أن يأخذها بين ذراعيه. تعانقا وضحكا للمجنون الذي تملكهما، جنون المشاعر الجارفة التي تنز بينهما.

إلاّ أن الشكوك والمخاوف عاودتها وتعاظمت في داخلها لتدفع بالمشاعر جانباً وتحلّ محلها. ارتجفت وحاولت الابتعاد عنه فسألها: «ما الخطب؟».

ردّت بصراحة ووضوح: «نحن».

قطّب عاجزاً عن فهم ما تقوله.

قالت بلهجة إقرار أمر واقع وليس سؤال: «أنت لا ترغب في الإنجاب يا جايك، أليس كذلك؟».

ردّ على الفور: «أنا لم أقل هذا يا مرلينا. الوقت لا يزال مبكراً وحسب. سنفكر في المسألة بعد الزواج».

سخرت من كلامه: «كم من الوقت سيتطلب التفكير في الأمر؟ سنة؟ سنتان؟ خمس سنوات؟ عشر سنوات؟ حتى أصبح عجوزاً فلا أتمكن من تأسيس الأسرة التي أريد؟».

ناقشها: «مسألة التخطيط لبناء أسرة، مسألة حساسة».

- لقد بلغت الثلاثين من عمري يا جايك. ومن وجهة النظر الإحصائية، بدأ العد العكسي لإمكانية أن أنجب أطفالاً أصحاء. وكلما تأخرت كلما زادت إمكانية إنجابي لطفل صاحب إعاقة.

اعترض على كلامها وكأنه غير منطقي: «لكن بعض النساء في أيامنا هذه ينجبن وهن في الأربعين».

- إنهن نساء يرغبن بشدة في الإنجاب قبل فوات الأوان، وغالباً ما يخضعن لعلاجات طويلة ليحملن. لا أريد أن أجد نفسي في هذا الموقف.

- حسن.

وقطب مجدداً، إذ لم يعجبه هذا الحوار على الإطلاق.

تنهدت لتخفف الضيق المؤلم الذي تمركز في صدرها. حلم الزواج بجايك انتهى، فهي لم تعد تستطيع أن تحتمل.

وقالت بعد حين: «أنت تعتبر الإنجاب عبئاً، وليس حياة جديدة رائعة تجمعنا معاً. حياة لنرعاها معاً ونكون جزءً منها، فنشارك الطفل رحلته ومغامراته وتحديات كل تجربة جديدة يمر بها. على غرار تسجيل روزا لهدفها الأول».

وصمتت لحظة وقد ملأ الحزن قلبها كحمل ثقيل: «أتظن أنها لم تكن لحظة رائعة لوالديها؟».

أمال رأسه يفكر في كلامها: «لم أفكر بهذا الأمر على هذا النحو. لكني لا أعتبر الإنجاب عبئاً بقدر ما أعتبره مسؤولية يا مرلينا. الأبوة مسألة لا تؤخذ باستخفاف أو عدم مسؤولية».

- هذا صحيح. الأبوة تتطلب التزاماً تاماً. وأشعر بأنك لا تتمتع بهذا الالتزام في قلبك.

رفع يده محتجاً: «لا تستعجلي الأمور ودعيها تأتي بشكل طبيعي».

لم تستطع أن تلزم نفسها بتصديقه. إنها محاولة لتأجيل الموضوع، فوبّخته قائلة: «حسناً، حين تشعر أنك جاهز، أعلمني».

وابتعدت عنه ثم توجهت نحو الباب، فسألها: «ماذا تفعلين؟».

- أريدك أن ترحل الآن.

- لا يمكن أن تعني حقاً ما تقولينه.

- بلى. إني أعنيه تماماً.

- مرلينا...

وراح يتقدّم منها وقد رفع يديه مناشداً، فيما بدت عيناها ملتهبتين.

التفتت نحوه وقالت بشراسة: «أنا أعني ما قلته! ولا تقترب مني يا جايك!».

ووقف جامداً لشدة دهشته.

خرج الكلام الدفاعي من فمها كالسيل الجارف: «كل هذا الوقت الذي أمضيته وأنا أعمل كمساعدة شخصية لك... حوّلك إلى هوس عندي. هذه هي الحقيقة. هوس! لم أستطع أن أخرجك من عقلي. أصبحت محور أحلامي وعندما جئت من أجلي إلى منزل جدك، أردت أن تتحول هذه الأحلام إلى حقيقة. لكني أواجه الآن الحقائق يا جايك، ولن أدع الأحلام تعميني مجدداً».

- ما نشعر به معاً ليس حلماً.

- لكنه لا يتطلب أيّ التزام، أليس كذلك؟ أنا لست مختلفة عن أيّ امرأة أخرى عرفتها.

أصرّ بشدة: «لكنك مختلفة!».

- أثبت لي ذلك إذن. خذ، استعد خاتمك.

ونزعت الخاتم من إصبعها وقدّمته له، فيما راح صوتها يرتجف وهي تضيف: «هذا الخاتم لا يعني شيئاً إلاّ إذا التزمت بإنشاء أسرة معي. اذهب وفكّر في الموضوع يا جايك. خذ الوقت الذي يلزمك، لكن لا تقدّمه لي مجدداً إلاّ إذا ترافق مع التزام تام لأني لن أقبل بأقل من هذا».

- حسن!

وانتزع الخاتم من راحة يدها من دون أن يضيف أيّ كلمة أخرى،

فيما وقفت مرلينا جامدة كالصخرة، لا تجرؤ على الحركة.

انتهت اللعبة وقد خسر.

لكن الحقيقة المؤلمة هي أنها خسرت أيضاً.

رمقها بنظرة طويلة وقاسية قبل أن يقول: «سأفوز بك في النهاية. لا تظني أني لن أفعل يا مرلينا روسي».

فخطر لها بالتصميم الشرس نفسه الذي عكسته كلماته: بشروطي فقط.

رمى الخاتم المرصّع بالماس والياقوت في الهواء ثم عاد والتقطه في حركة تملك شرسة قبل أن يتوجّه إلى الباب ويخرج من الشقة، وعلى الأرجح من حياتها.

١٥ - ما من خبر

ومرت الأيام...

ولم تسمع أي خبر عن جايك.

حاولت مرلينا أن تعيد حياتها إلى المسار الذي حددته لها عندما قررت ترك عملها في الشركة. فالعودة إلى العمل مع جايك مستحيلة بعد ذاك الإنذار الذي أعطته إياه، ولا بد أنه يدرك ذلك. ولهذا، أمضت الساعات أمام شاشة الكمبيوتر تبحث عن وظيفة مناسبة. راجعت سيرتها الذاتية لكنها لم تكن تملك الشجاعة الكافية كي ترسلها. ليس بعد...

وحلّت عطلة نهاية الأسبوع.

وما من خبر من جايك!

هل يتوقع منها أن تستسلم وأن تحضر إلى العمل يوم الاثنين، غير قادرة على مقاومة الرغبة الشديدة في أن تكون معه مجدداً؟ قالت مرلينا لنفسها إنها مصنوعة من مادة أقسى وأصلب، لكن الليالي مرت عليها أشبه بالجحيم حيث كانت تستلقي في السرير لساعات وقد جافاها النوم.

حاولت أن تشغل نفسها طوال الوقت، فتسوّقت واتصلت بصديقاتها واجتمعت ببعضهن حيث استمعت إلى ما يجري في حياتهن وتجنبت الأسئلة عن حياتها الخاصة، وشعرت بالبؤس طيلة الوقت.

وحلّ نهار الاثنين ومضى.

وما من خبر من جايك!

يبدو أن من الممكن استبدالها بما أنه لم يطاردها لتستعيد عملها كمساعدة شخصية له. حاجز الإنجاب كان أكبر من أن يتمكن من

www.elromancia.com

تجاوزه، ولم تكن مستعدة للتنازل. إذا أراد أن يلعب دور زير النساء لما تبقى من حياته، فليسلك هذا الدرب وحده!

نظّفت شقتها، رغبة منها في أن يصل بها التعب إلى حدّ النوم بشكل عميق عندما تستلقي في سريرها. لكن محاولتها لم تنجح، فالاضطراب العاطفي طغى على التعب الجسدي. وراود جايك أحلامها.

وبدأت تشك في قرارها حين رأت أن تأسيس أسرة خاصة بها أهم لسعادتها في المستقبل من البقاء معه. لعلها لن تعرف أيّ سعادة في المستقبل، لاسيّما وهي تتوق لأن يكون جايك بجانبها. وهل سينتهي هذا يوماً؟

ماذا لو لم تكن حياتها طويلة؟ قد تموت في حادث أو تصاب بمرض عضال. ما من شيء يضمن عدد السنوات التي ستعيشها. هل عليها أن تتمسك بما يمكنها أن تحصل عليه اليوم بدلاً من أن تستمر في التفكير في الغد؟ كانت تعلم أنها تحب جايك وأنّ عودته إليها لا تتطلب سوى اتصال هاتفي منها، ما جعلها تعاني الأمرّين.

عندئذ، سيفوز.

وهل هذا مهم فعلاً؟

وبقيت هذه الأسئلة المعذّبة تدور في ذهنها. وعندما رنّ جرس الهاتف مساء يوم الأربعاء، ارتمت على السماعة وكأنها قشة الخلاص، آملة أن يكون المتصل جايك.

لكنه لم يكن جايك.

بل جده الذي نسيته تماماً لفرط انشغالها بجايك.

- عزيزتي مرلينا، كنت أفكر فيك وأتساءل كيف جرت الزيارة إلى عائلتك.

تملّكها شعور بالذنب: «أنا آسفة يا بايرون. كان علي أن أطلعك على ما جرى».

فقال بنبرة متسامحة: «أنا واثق من أن أمور عديدة كانت تشغل بالك.

إنها مجرد حشرية رجل عجوز، غذّاها واقع أني حرّضت على هذا الارتباط مع حفيدي».

اعترفت بمرار: «أخشى أن هذا الارتباط لم ينجح يا بايرون».

- لا!

بدا مشدوهاً فيما هو يضيف: «كنت واثقاً جداً... ماذا حصل؟ ألم تحبه أسرتك؟».

- هذه ليست المشكلة. لقد نال رضا الجميع ومباركتهم.

وكشرت وهي تضيف: «أنا هي المشكلة».

- ماذا تعنين؟

- أردت أكثر مما كان مستعداً لمنحه. ليس توّاقاً للالتزام بأسرة.

- أهذه هي العثرة؟ امنحيه فقط بعض الوقت يا مرلينا. على أيّ حال، إنه يدرك أنك امرأة من حديد خلافاً لأمه التي لا تتبع سوى أهوائها. عندما تتحملين مسؤولية ما تتحملينها حتى النهاية، ومهما حصل عليه فقط أن يفهم هذا ويدرك أنه يستطيع أن يثق بك كي...

قاطعته صارخة: «أنا من لا يثق به يا بايرون».

- لا تثقين بجايك! صدقيني يا مرلينا، إنّ جايك رجل يحترم كلمته، ولطالما كان كذلك. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنّ أولئك الذين كان ينبغي عليهم أن يحترموا كلمتهم ويحافظوا عليها لم يفعلوا.

- لكنه لم يقطع لي أيّ وعد، بل أجّل الموضوع إلى وقت لاحق.

- حسناً... قد يعود السبب إلى أنّ أحداً في عائلتنا لم يخطط لمسألة الأبوة. كان الحمل يحدث فتقوم المربيات برعاية الأطفال ثم يرسلون إلى مدارس داخلية، حيث يتحمل مسؤوليتهم أشخاص آخرون. أميل إلى الاعتقاد بأنّ جايك سيأخذ مسؤولية الأبوة بشكل جدّي جداً.

راح عقل مرلينا يحلل ما قاله بايرون للتو، ويربطه بما حصل بينها وبين جايك. لقد شعر بأن والديه اعتبراه عبئاً عند الولادة، ولم يتحمل أي منهما مسؤولية تربيته. كما لم يشاركوه اللحظات الهامة في حياته. إن

www.elromancia.com

ولادة جايك وفي فمه ملعقة من ذهب لا تعني أنه حصل على كل ما يرغب فيه.

ماذا حصل لطفل لم يتلقّ الحب والحنان والرعاية؟ هل حصّن جايك نفسه ضد الحاجة إلى هذه العواطف؟ فزير النساء لا يتألم، وهو لا يتورط بما يكفي كي يتعرّض للأذى.

لكنه تجاوز الخطوط التي وضعها لنفسه معها، ووصل إلى حدّ مقابلة أسرتها. كما أنه أحب تركيبة أسرتها. لا بد أنها كانت مفاجأة بالنسبة إليه. لكن، وعلى الرغم من ذلك، دفعته غريزته إلى تجنّب التورّط في مسألة الأبوة. كان عليها أن تمنحه مزيداً من الوقت. لقد رحل غاضباً من إنذارها.

الخوف من أن تكون قد فقدت ما كان لديها جعل صوتها يرتعش وهي تقول: «لا أعلم إلى أين وصل جايك في هذا يا بايرون. قلت له أن يفكّر في المسألة لكنه لم يعد إليّ».

وتملّكها الذعر حين أدركت أنه ما كان عليها أن تخلع خاتمه من إصبعها، وأن تتحدث عن أنه تحوّل إلى هوس في حياتها. يا لكبريائها الغبية! كان عليها أن تقول له إنها تحبه، كان عليها أن تهتم أكثر بمشاكله وهمومه بدلاً من أن تطلق الأحكام، وتطرده...

غمغمت بنبرة يائسة: «لقد أفسدت الأمر كلياً».

قال لها بايرون بلهجة مهدّئة: «لا، لا... أنا واثق من أن جايك يفكّر في المسألة. قد تلعب الكبرياء دوراً، لكنه لن يتخلى عن ملاحقة ما يريده، ولا شك لديّ في أنه يريدك يا مرلينا».

تنهدت آملة أن يكون كلامه صحيحاً.

ونصحها بايرون: «انتظري بعض الوقت».

نظرت إلى يدها اليسرى التي بدت لها عارية جداً، فتذكّرت فجأة أن خاتم بايرون لا يزال في كيس البازيلا في الثلاجة.

دعاها قائلاً: «تعالي لتناول الشاي معي عصر السبت. سنضع خطة

جديدة، فأنا خبير في مسائل الخداع كما تعلمين».

لم تعد ترغب في التلاعب بجايك. وفكرة الخداع جعلت معدتها تنقبض إذ عليها أن تسوّي الأمور معه وتضع النقاط على الحروف بدلاً من أن تخدعه مجدداً.

وأردف بايرون: «سأرسل لك السائق في سيارة الرولز رويس الساعة الثانية. فهل أنت موافقة؟».

إنها فرصة كي تعيد له خاتمه الماسي الذي حثّ جايك على التعبير عن مشاعره نحوها. أرادت أن تتخلّص منه. ومهما حصل مع جايك في المستقبل، إذا ما حصل شيء ما، فهي تريد أن تكون الأمور واضحة وصريحة ومستقيمة.

قالت: «نعم. الساعة الثانية موعد مناسب. سآتي بخاتمك معي».

- رائع! أتطلّع قدماً إلى رؤيتك مجدداً يا عزيزتي.

- شكراً يا بايرون.

إنه رجل رائع حقاً! فهو لم يطلعها على خلفية جايك ودوافعه المحتملة وحسب بل علمت أنه سيتصرف بلطف واهتمام بالغين يوم السبت. لعله سيزوّدها بمزيد من المعلومات المفيدة عن حفيده؛ لكن، إذا ما وضع أيّ مخططات لإعادة المياه إلى مجاريها بينها وبين جايك، فلن تشارك فيها. وهذا قرار نهائي وحاسم.

ما من مكائد جديدة...

ما من أفخاخ!

إذا قدّر لها ولجايك أن يكونا معاً، فينبغي أن يحصل هذا برغبة منهما وليس بسبب شخص آخر.

ولم تسمع بأيّ خبر منه يوميّ الخميس والجمعة، ما يعني أن صمته دام عشرة أيام. وها هو اليوم الحادي عشر يحلّ مع حلول صباح السبت. وهذا يعني بالتأكيد أنه لا يرغب في إنجاب أطفال. لذا، عليها هي أن تقوم بخطوة لرأب الصدع بينهما، إذا ما استطاعت أن تقنع نفسها بالتخلّي

عن فكرة إنشاء أسرة.

وفي محاولة لرفع معنوياتها قليلاً، ارتدت الفستان الأحمر والحزام الأبيض لتلبي دعوة بايرون لشرب الشاي. وذكّرها هذا الفستان بالطبع بخروجها مع جايك لشراء الخاتم المرصّع بالماس والياقوت. لكنها على أيّ حال ستتذكر كل ما جرى إذ ستناقشه مع جده.

وصلت سيارة الرولز رويس في الموعد المحدد، عند الساعة الثانية. وأقلتها إلى منزل بايرون. لاحظت في الممر حافلة سياحية كبيرة، فخمة، بدت غريبة جداً وفي غير مكانها هنا.

سألت السائق، غير مصدّقة أن بايرون فتح منزله وأراضيه للسيّاح: «لِمَ هذه الحافلة هنا؟».

وجاء الرد المتحفظ: «علمت أنّ السيد بايرون سيحتاج إليها لوقت لاحق هذا المساء».

وخطر لمرلينا أنه سيحتاجها على الأرجح ليحضر ضيوفاً ويقودهم إلى حفل في مكان ما. إنه نوع من الأمور المسليّة التي قد يفكّر بايرون في القيام بها. وقررت ألاّ تشغل بالها بهذا الموضوع مع وصولهما إلى المدخل الرئيسي. ساعدها السائق على الترجّل من السيارة فيما سارع رئيس الخدم إلى فتح الباب الرئيسي ليرحّب بها.

قالت بابتسامة عريضة بقدر ما استطاعت: «مساء الخير يا بايرون».

- يسرّني أن أراك مجدداً يا آنسة روسي. السيد بايرون في قاعة الاستقبال الرئيسية وسأقودك إليه مباشرة.

- شكراً لك.

انحنى في إيماءة تقدير معلّقاً: «اسمحي لي أن أقول إن ثوبك الأحمر يليق بك تماماً».

ردّت وقد فاجأها الإطراء بقدر ما سرّها: «يسرني أن تظن ذلك».

رافقها عبر المنزل الكبير إلى الغرفة حيث ينتظرها بايرون، قائلاً: «أظن أن ارتداء اللون الأحمر يعتبر طريقة للتعبير عن الشخصية وعن

الذات، ومحاولة للفت النظر».

فقالت بمرح: «على أيّ حال، لن ألوّح بقطعة قماش للثور اليوم يا هارولد».

- أشك في أن يكون ثمة حاجة إلى ذلك.

واتسعت ابتسامته وهو يضيف: «فنظر الثور مركّز عليك».

- أستميحك عذراً؟

قال وهو يفتح الباب المزدوج بأناقة: «الكل بانتظارك».

رمقت مرلينا رئيس الخدم بنظرة حيرة وهو يدفعها إلى الأمام. وانحنى لها انحناءة طفيفة، فأدركت أنه غير مستعد لتفسير كلامه. وهكذا، دخلت إلى الغرفة.

كانت مكتظة بالناس.

جمدت قدماها في مكانهما. وانتفض قلبها في صدرها.

بالكاد استطاعت أن تصدّق ما رأته عيناها.

كانت أسرة روسي بأكملها مجتمعة حول جايك وبايرون. والداها، أشقاؤها وزوجاتهم، شقيقاتها وأزواجهن وأولادهم، يبتسمون في وجهها وكأنها حفلة أعدّت خصيصاً كمفاجأة لها.

وهذا ما هي عليه فعلاً!

كان جايك يحمل ابن ماريو وجينا بين ذراعيه.

وكانت روزا تتمسك بإحدى ساقيه... إنه بطلها!

قال بايرون بأسلوبه الساحر المعتاد: «مرحباً بك يا عزيزتي. بما أنك أقمت حفل خطوبة في منزل والديك، خطر لي أن نقيم حفلاً آخر هنا».

والتفت إلى حفيده، مشيراً إليه أن يستلم زمام الأمور: «لك حق الكلام يا جايك».

- شكراً لك يا جدي.

ونظرت عيناه الداكنتان إلى عيني مرلينا قبل أن يتابع كلامه: «بادىء ذي بدء، هذا هو الدليل على أنه ليس لدي أيّ اعتراض على أن أرزق

بطفل. يمكنني أن أتعامل بشكل جيد مع الأطفال ويشهد على ذلك جينا وماريو».

سانده ماريو وهو يربّت على ظهره: «إنه قادر على ذلك كقدرة البط على العوم».

– والأطفال يعرفون بالغريزة الراشدين الذين لا يحبونهم. ولا تواجه روزا أيّ مشكلة معي.

تدخّلت روزا: «أنا أساند جايك».

فقال جينارو لابنة عمه الصغيرة: «سيساعدني أنا في مباراة كرة القدم القادمة».

أمرتهما والدة مرلينا: «أسكتا».

أومأ لها جايك برأسه: «بعد الزواج، سأتعاون معك بشكل كلّي في مسألة الإنجاب».

سُمعت ضحكات مكبوتة في الغرفة.

وتابع جايك كلامه: «يقول والدك إن الزواج في شهر أيلول يناسب الجميع، شرط أن يناسبك هذا الموعد».

لم تجد مرلينا ما تقوله، بعد أن أذهلها ما سمعته.

أما جايك فلم يعقه شيء عن الكلام، فأردف: «لا أدري ما هو عدد الأطفال الذين ترغبين في إنجابهم، لكني أتصور أنّ بإمكانك إنجاب ثلاثة أو أربعة قبل أن تبدأ إحصائيات المواليد الأصحاء بإثارة قلقك».

أهو مستعد لإنجاب ثلاثة أو أربعة أطفال؟

شعرت مرلينا بدوار لهذا الاستعداد الصادق للأبوة.

– جمعت أسرتك هنا ليشهدوا على ما أقوله لك يا مرلينا، وأظنهم يثقون بكلمتي. ويبقى السؤال...

وصمت، مستجمعاً طاقته لينفذ إلى قلبها ثم أضاف: «... هل ستثقين بي؟».

شعرت بغصة في حلقها. لقد تكبد الكثير من العناء، فجلب أسرتها

كلها من غريفيث، ليثبت لها أنّ بإمكانها أن تثق به وأنه سيكون كما ترغب. شعرت بالخجل لأنها حكمت عليه بهذا الشكل السيء، ما جعل عيناها تغرورقان بالدموع. لكم أخطأت حين لم تعطه مزيداً من الوقت، وحين ربطت نفسها بنسائه الأخريات، وحرمته من الحب الذي كان بإمكانها أن تفصح عنه. فلا بدّ أنّ الحب هو الذي دفعه لتنظيم لحظة الحقيقة هذه.

أعطى الطفل لماريو ثم تقدّم منها، حاملاً الخاتم الذي رفضته: «إني أقدم لك هذا الخاتم مجدداً يا مرلينا. فهلاّ قبلت به ووضعته في إصبعك، مدركة أنه يعني كل ما ينبغي أن يعنيه لحياتنا معاً؟».

تركز نظرها المشوّش على الخاتم اللامع في راحة يده المفتوحة. مدت يداً مرتجفة لتلتقطه ثم وضعته ببطء في الإصبع الثالث من يدها اليسرى.

وتمكنت من أن تهمس فيما نظراتها تتعلق بنظراته طالبة منه العفو: «شكراً لك. أنا آسفة لأني لم أثق بك من قبل يا جايك».

فقال بصوت أجش وهو يأخذها بين ذراعيه ويضمها بشدة: «ما يهم هو الوقت الحالي».

أخفت وجهها الذي غسلته الدموع في كتفه فيما تعالى التصفيق وتجمعت أسرتها من حولهما، مطلقة التعليقات السعيدة.

قال والدها: «رجل جيد!».

وعلّقت أمها: «ولا تنزعي أبداً هذا الخاتم من إصبعك يا مرلينا».

وتدخّل بايرون: «أظن أنه ينبغي أن أعيّن عريفاً لحفل الزفاف. ما يذكّرني بأن الشاي في انتظارنا في غرفة الطعام. تعالوا جميعاً فلندع طيريّ الحب هذين وحيدين. يمكنهما أن يحتفلا معنا عندما يصبحان جاهزين».

سمعتهم مرلينا يغادرون وسط تعليقات ضاحكة، وسمعت الأبواب تغلق ثم سمعت جايك يهمس: «هل هذا يعني أني فزت يا مرلينا؟».

أخذت نفساً عميقاً لتهدىء مشاعرها المضطربة، ثم رفعت رأسها رغبة منها في أن يرى أنها تعني كل كلمة تقولها: «لن أشك بك بعد اليوم

يا جايك. إنه وعد مني».

رفع يداً ليمسح بحنان آثار الدموع عن خدّيها. بدت عيناه ناعمتين ودافئتين: «أنت مختلفة يا مرلينا. كنت مهووساً بك أنا أيضاً، أفتش دوماً عن طريقة لأعرف الشخص الذي يختبىء خلف الحواجز التي وضعتها بيننا. أعلمتني غرائزي أنك تملكين شيئاً أريده، وعندما فتحت قلبك لي أخيراً، تبيّن أنه يلبي الحاجات التي لطالما دفنتها في قلبي. أنا آسف لأني احتجت إلى وقت طويل كي أدرك الحقيقة. كل ما كنت واثقاً منه هو أني لم أشأ لهذا أن يخرج إلى العلن».

تنهدت بقوة: «جايك! كنت على وشك أن أتخلى عن فكرة إنشاء أسرة. كل ما أردته هو أن أكون معك».

هزّ رأسه: «لن تكوني أنت يا مرلينا، وأنا أحب كل ما فيك. لا أريد أن أغيّر فيك شيئاً. أيّ شيء. أريدك زوجة لي، وأماً لأولادي، وشريكة لي في كل تفاصيل حياتي».

وابتسم فظهرت الغمازتان عميقتين في خدّيه: «يمكنك أن تدعي شعرك يطول مجدداً. أودّ لو تفعلي».

الحب...

قال الحب!

وأتت البقية لتثبت ذلك بالدليل القاطع.

امتلأ قلب مرلينا سعادة وهي ترفع يديها لتعقدهما حول عنقه: «وأنا أحبك أيضاً يا جايك. سأترك شعري يطول بقدر ما تشاء وسأفعل ما بوسعي كي أجعل حياتنا معاً رائعة».

رأى جايك الشرارات الذهبية في عينيها الكهرمانيتين وأدرك أنه لن يملّ يوماً من رؤيتها. مرلينا امرأة مميّزة جداً، أجمل حلم يمكن للرجل أن يحظى به، لكنها حقيقية جداً، جداً.

إنها امرأته.

ضمها إليه أكثر، يستمتع بقربها وبسماع قلبها يدق.

حبه، سابغاً حنانه. وهذا ما تفعله مرلينا دوماً.

وأدرك كم هو محظوظ لأنه عرفها، وكم هو محظوظ لأنه نال ثقتها. أرادها أن تقوده على دربها، درب ما كان ليرى أنها الأفضل لو لم تساعده ليكتشف ذلك، درب تقود إلى ما ينبغي أن يكون عليه البيت.

إنها الدرب الصحيحة.

إنها درب جيدة.

شعر مع مرلينا بسعادة لم يختبرها قط من قبل، وما من عائق في العالم يمكن أن يوقف هذه الرحلة التي سيقومان بها معاً.

قال: «لعبة الزواج والإنجاب هي أكبر لعبة. سنواجه كافة التحديات وسنفوز. اتفقنا؟».

ضحكت وقد أضاء السرور وجهها الجميل وهي تجيب: «سنلعب كفريق... وحتى النهاية».

عانقها، فبادلته العناق.

إنهما يشكّلان فريقاً مميزاً.

فريق لا يهزم.